تاريخ الشيعة السياسي

غزوة الأحزاب - الدولة العلوية

تأليف
السيّد عبد الستّار الجابري

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة



تاريخ الشيعة السياسي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد

وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١١ (١٦٣)

BP
٠٨ / ٢٣٩
٢ ج /
٢ ت

الجابري، عبدالستار.

تاريخ الشيعة السياسي: غزوة الأحزاب - الدولة العلوية / تأليف عبدالستار الجابري / [تقديم اللجنة العلمية، محمدعلي الحلو]. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٢ق. = ٢٠١١م.

١٦٠ ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ٥٤)

المصادر في الحاشية.

١ . الشيعة - تاريخ - ٤ - ٤١ ق. - دراسة وتعريف. ٢ . الشيعة والسياسة. ٣ . الشيعة - تاريخ - احاديث. ٤ . علي بن ابي طالب عليه السلام، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ق. ٦ . الخلفاء الراشدين - تاريخ. ٧ . فاطمة الزهراء (س)، ٩؟ ٨ قبل الهجرة - ١١ق. - تعقيب وايذاء. ٨ . الشيعة - تعقيب وايذاء. الف. الحلو، محمدعلي ١٩٥٧ - م، مقدم. ب. العنوان.

BP ٢٣٩ / ٠٨ / ٢ ج ٢ ت

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

تاريخ الشيعة السياسي

غزوة الأحزاب - الدولة العلوية

تأليف

السيّد عبد الستّار الجابري

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة



الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
Web: www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com



طبع على مطابع
شركة الأعلمي للمطبوعات
بيروت طريق المطار - قرب سنتر زعرور
هاتف: ٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس: ٤٥٠٤٢٧ / ٠١

Published by Aalami Est.
Beirut Airport Road
Tel:01/450426 Fax:01/450427

مقدمة اللجنة العلمية

يُعد البحث في التاريخ السياسي الشيعي من متطلبات البحث الذي يسعى للوقوف على حيثيات المجريات التاريخية الإسلامية، إذ المقطع السياسي التاريخي له أهميته القصوى في بيان الدواعي للمواقف اللاحقة التي أحدثت علامة فارقة لنشوء «الطور» السياسي الإسلامي والذي أغدق على الأحداث مواقف تنبع من رؤية إسلامية تتجلى على أساس فلسفات أصحابها وتوجهاتهم، وهكذا أريد الوجه الناصع للتاريخ الإسلامي بمواقف غير مسؤولة نمت وتصاعدت وتبرمها على أساس الدواعي السياسية والمصالح الشخصية للحاكم أو لفريق عمله، وإذ نؤكد أن التاريخ السياسي للشيعة هو وحده سيقدم تعريفة صحيحة للرؤية الإسلامية الناصعة، فإن المواقف الأُخَر لغير الشيعة تنطوي تحت راية الحاكم من دون أن يكون للمحكوم فيها موقف ما، وبمعنى آخر فإن خط المعارضة هو الذي سيخلق متطلبات الملامح السياسية ويؤصّل للموقف السياسي كذلك، ولم يكن سوى الشيعة الذين دخلوا في برنامج المعارضة السياسية – منذ مدّة ما بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى يوم الناس هذا – واستفحلت المعارضة السياسية الشيعية بوصفها ظاهرة لها ملامحها الخاصة بها، وتضخمت عقدة الحاكم حيال هذه الظاهرة السياسية حتى أدخلت ضمن يومياته العملية، واستقرت في الضمير الإنساني صورة المعارضة الشيعية المضطهدة فباتت تقرأها



المدارس السياسية العالمية على أنها المعارضة الأنضج في برنامجها، والأرشد في أسلوبها، وتوالت الدراسات لهذه الظاهرة السياسية الشيعية وعنت بها المطولات السياسية في قراءاتها لفقه هذه المعارضة حتى قرّضها الكثير من قادة الحركات التحررية، والسياقات الثورية التي لهجت بمواقف علي - الحسن - الحسين ومن ثم الزهراء عليهم السلام، أولئك الذين خلقوا المجد للتاريخ السياسي المعارض، وأصّلوا قواعده وأسسوا مبانيه، وبقيت برامج المعارضة السياسية الناضجة حكراً للموقف الشيعي الذي يستمد تراثياته من القرآن الكريم والسنة النبوية ومواقف أهل البيت ومن تبعهم من أصحابهم وأشياعهم. والذي بين أيدينا بحث من بحوث الطراز السياسي المعارض الذي طالما شغف به القارئ ليقرأه على أنه التوجه الذي يتناغم مع متطلبات الموقف الإنساني ليقرأ فيه الإنسانية المعذبة برموزها علي - الحسن - الحسين ومن ثم فاطمة الزهراء عليهم السلام ومن سار على منهجهم أمثال سلمان، أبو ذر، المقداد، عمار، بلال، أبو الهيثم بن التيهان، وغيرهم، أو الذين يمثلون المرحلة الثانية من المعارضة أمثال ميثم التمار، حجر بن عدي، سعيد بن جبير، وغيرهم، وهكذا تنامت حركة المعارضة لتقرأها على أساس تاريخي له دواعيه ومقتضياته.

والمشكلة الأساسية في مثل هذا المقطع التاريخي أن صانعوه من معارضة النظام الحاكم، وكاتبوه من صنائع النظام الحاكم وبين هؤلاء وأولئك بون شاسع في الرؤية، وفيصل واسع من المواقف، فهؤلاء حريصون على أن يقدّموا الإسلام بأطروحة التأصيل، وأولئك قدّموا الإسلام بأطروحة التأويل، وبين التأصيل والتأويل كذلك بون شاسع، وما تزال المطاردة بين الأطروحتين على أثرها، وما يزال الاختلاف بين الفلسفتين في أوجه، من هنا ما تزال ماكنة الحاكم تصطنع التأويل، وما يزال العقل السياسي الشيعي يبتكر التنظير.



وسنجد في البحث الذي قدمه السيد الكاتب صيغة أخرى للتراث السياسي الشيعي الممتحن في كتابته، والمبتلى في قراءاته متعددة الأطراف مختلفة المذاقات، والقراءة المقدمة لنا ستشارك في التقليل من عبء البحث إلى فضاءات رحبة من التحقيق والتدقيق.

اللجنة العلمية

السيد محمد علي الحلو - النجف الأشرف



المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الغر الميامين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

للبحث التاريخي دور هام في الوقوف على أحداث لها أثر في تاريخ الإنسانية، وبعض هذه الأحداث بالإضافة إلى مالها من بعد تاريخي لها أثر مهم في فهم الواقع السياسي والفكري الذي كانت تعيشه أُمّة من الأمم في مدّة من تاريخها.

وإذا كتب لأمة من الأمم أنْ يكتب تاريخها بنزاهة كان الوقوف على حقيقة الأحداث أمراً سهلاً ميسوراً، إلاّ أن المشكلة تقع عندما يزوّر التاريخ ويسعى المؤرخون ومن يقف وراء مشروعهم الإعلامي إلى طمس الحقائق وتشويهها خدمة للمصالح الضيقة لأرباب السياسة.

والطائفة الشيعية من الفئات التي تعرض تاريخها للهظم والظلم والتشويه والتي مُورس تجاهها الظلم على مر العصور واختلاف الأنظمة الحاكمة، ولم يشهد التاريخ الشيعي إلا أزمان قليلة من الانفراج السياسي التي أسهمت في حفظ بعض الإشارات عن تاريخ الشيعة وتدوينها، ومع ذلك لم تسلم جل تلك الكتابات من المطاردة والمتابعة والإتلاف بعد عودة سياسة العداء للشيعة شأنها في ذاك شأن ما له صلة بالتشيع.



فمثلاً من أوائل ما كتب عن تاريخ أهل البيت عليهم السلام كتاب سليم بن قيس الهلالي الذي كتبه رغم الظروف الصعبة التي كان يعيشها شيعة أهل البيت عليهم السلام وكابد الشيعة لأجل حفظ هذا التراث ألوان الصعاب.

عن المعاناة التي عاشها كتاب سليم يقول الشيخ محمد باقر المحمودي في مقدمته لتحقيق الكتاب

(الميزة الثالثة: صراحته رغم ظروف تأليفه الخانقة فقد كتبه سليم في عصر المنع المطلق من تدوين أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى ما يتعلق منها بالسنن والأحكام الشرعية بل لقد منعت الدولة حتى مجرد رواية الحديث النبوي، حتى في المسجد، وحتى من كبار الصحابة في مثل تلك الظروف الخانقة، قام سليم بن قيس بتسجيل هذه الحقائق التاريخية والعقائدية وتدوينها في كتاب، وكان يجمع أحاديثه من الأئمة الأطهار عليهم السلام والصحابة الأبرار ويكتبها في كتابه على خوف ووجل، لأن الدولة لو اطلعت على ذلك لكان ذلك برأيها سبباً كافياً لإعدام المؤلف، ومن جهة أخرى فقد دوّن سليم مخالفات حكام عصره الذين كان يعيش معهم، واستطاع أن يخفي ذلك عن عيونهم. وقد كان لحرصه على كتابه، يحمله معه في أسفاره وتنقلاته العديدة، خاصة بعد أن تسلط بنو أمية وأخذوا يطاردون شيعة علي عليه السلام. وفي آخر عمره المبارك عند ما كان الحجاج يتتبع من بقي من أصحاب علي عليه السلام ليقتلهم، اختفى سليم وتنقل من بلد إلى بلد ما بين نجد ومكة والمدينة والكوفة والبصرة.. ثم عبر إلى أرض فارس ووصل إلى نوبندجان، وهناك في بيت أحد أصدقائه أبان بن أبي عياش حط به المرض وجاءه الأجل، وكان لابد من البوح بالسر وايصال الأمانة إلى أهلها. فأخذ على أبان الأيمان، وكشف له حقيقة أحداث عاشها وشاهدها وسجلها، وقرأ عليه الكتاب، وأودعه عنده، ليوصله إلى أهله وقد حافظ أبان على

الأمانة، وحمل الكتاب بعد وفاة سليم إلى علماء البصرة، فنسخه بعض الرواة والعلماء رغم تلك الظروف الصعبة وانتشرت نسخه منهم عبر الأجيال.. حتى وصل إلينا).

فالنتيجة أنّ التاريخ الإسلامي وللأسف الشديد لم تكتبه الأيدي الأمينة بل كان لأهواء السلاطين دور كبير في كتابة التاريخ، ولم يقتصر ذلك على المؤرخين بل عمّ المحدثين والمفسرين حتى أنّ القارئ بتفحص يشم عفونة التزوير، فمثلاً يجد القارئ في بعض الكتب دعوى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يتزوج بابنة أبي جهل مع وجود الزهراء عليها السلام وأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقف على باب فاطمة يدعوهم إلى الصلاة فكانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى ينصرف وهو يتلو قوله تعالى وكان الإنسان أكثر شيئاً جدلاً، وأنّ أبا طالب في ضحضاح من نار وأن الملائكة تنزل لقراءة فلان، ولو كان نبياً بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكان فلاناً وغيرها من الافتراءات والأكاذيب.

الضرورة الداعية لكتابة البحث

وبسبب التزوير الذي تعرض له التاريخ الإسلامي بنحو عام والشيعي بنحو خاص، ولأهمية كتابة التاريخ الشيعي على الأسس الموضوعية والعلمية بعيداً عن تزوير السلطات الحاكمة والتعصبات المذهبية المقيتة وجدت من الضروري القيام بدراسة لتاريخ الشيعة السياسي منذ فجر الإسلام وحتى العصر الحاضر لأن تاريخ الشيعة هو تاريخ الإسلام الحقيقي وتاريخ التبعية الحقيقة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام عليهم الصلاة والسلام.

يمكن القول إنّ تاريخ الشيعة العلمي يمكن الوقوف عليه بسهولة للمؤلفات القيمة التي دوّنها علماء الشيعة في مختلف أبواب العلوم فقهاً وأصولاً وكلاماً، ولكن

التاريخ السياسي الشيعي لم يسبق أن وضعت له دراسات تتناول التاريخ السياسي الشيعي العام وإن كانت هناك جملة من المباحث التاريخية التحليلية التي تناولت بعض الشخصيات المهمة في تاريخ الإسلام ككتاب سليم رضوان الله عليه والجمل للشيخ المفيد رضوان الله عليه ومثير الأحزان لابن نما الحلي رضوان الله عليه وجملة من كتابات السيد ابن طاووس رضوان الله عليه وجملة من الكتابات المتأخرة ككتاب الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام ومأساة الزهراء عليها السلام للسيد العاملي، وبعض كتابات الشيخ شمس الدين رحمه الله بالإضافة إلى جملة من كتابات الكتاب المتأخرين والمتقدمين، ولكن تلك الكتابات لم تتناول التاريخ الشيعي بما هو بل تناولت تاريخ الشيعة ضمن دائرة الشخصية التي تناولتها أبحاثهم، والأبحاث التي أشرنا إليها ومثيلاتها لها دور كبير في تفسير جملة الأحداث التي مر بها التاريخ السياسي الشيعي فهي تمثّل خطوة في طريق التكامل في البحث التاريخي فلأولئك الكرام من الكتاب نتقدم بأسمى آيات العرفان بالجميل لما بذلوه من جهد في تحقيق جملة من المسائل التاريخية التي تساعد الباحث في علمية البحث وتختصر له الطريق.

ولكن يبقى التاريخ العام بحاجة إلى تدوين وكتابة للوقوف على التاريخ المشرق للشيعة ودورهم المشرف على مختلف أدوار التاريخ.

وبالإضافة إلى هذا الواقع العلمي فإن جل القطاع العام من الشيعة يجهل تاريخه السياسي بسبب الاضطهاد الذي تعرض له الشيعة على مر العصور، حيث كانت السياسات الحاكمة ومنذ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى اليوم تأخذ العداء لكل ما يمت للشيعة والتشيع ديناً وديدناً ونتج عن ذلك تجهيل الشيعة بتاريخهم المشرق ومصادرة المجهود الشيعي الذي كان له أكبر الآثار في التاريخ السياسي المعاصر للعراق ولبنان وإيران بوجه خاص وللشرق الأوسط بوجه عام.

معوقات البحث

لما كان البحث يقع في التاريخ السياسي للشيعة فهو يواجه جملة من المشاكل أهمها عدم تحقيق تاريخ الشيعة السياسي حتى من قبل الكتاب الشيعة فهو ليس كعلوم الفقه والأصول والكلام والفلسفة التي بحثت في كلياتها وجزئياتها، فالباحث يواجه مادة خام لم يسبق تحقيقها.

والمشكلة الثانية أنّ هذه المادة الخام لا تعاني من عدم التحقيق فقط، بل إنّ للأهواء دوراً كبيراً في تشويهها والعبث بها، مما يستدعي من الباحث المنصف جهداً مضاعفاً في سبيل الوقوف على الصحيح من السقيم من بين كم كبير من النصوص التاريخية.

والمشكلة الثالثة التي يواجهها الباحث غياب كتب التاريخ الشيعية التي كتبت في الأزمنة المتقدمة بسبب المطاردة والتضييق التي تعرض لها الكتاب والمكتبة الشيعية على مر العصور، وهذا الغياب للكتاب الشيعي يجعل مهمة الباحث صعبة لأن عليه أن يقف على جملة من الأحداث التاريخية من كتب لم يتصف مؤلفوها بالموضوعية والحياد والإنصاف وهنا يبرز العناء بنحو واضح إذ عليه الوقوف على الروايات المختلفة في الموضوع الواحد، وأن يراجع تراجم الرجال، للوقوف على الحقيقة.

ولولا ما تلطف الله تعالى به من قيام بعض الدول الشيعية في أزمان متباعدة من تاريخ المسلمين لتعرض التراث الشيعي إلى تضييع أكبر ولكن تلك الدول وببركة العلماء الكبار الذين بذلوا جهداً كبيراً في حفظ تراث أهل البيت عليهم السلام حفظوا للشيعة جزءاً مهماً من تاريخهم الناصع، وعلى رأسهم العلامة المجلسي رضوان الله عليه صاحب بحار الأنوار التي كانت بحق بحاراً من النور.

وفي الختام أدعو الله عز وجل أنْ يوفقني لإتمام هذا البحث وأن يكون ما أقوم به

من جهد محل قبوله ورضاه وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم و ينفعني به يوم الدين، وأن يكون محل رضا سادة الخلق محمد وآله الطيبين الطاهرين وأن يرزقني شفاعتهم وحبهم وجوارهم في الدنيا والآخرة.

بين يدي البحث

بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة المنورة شكلت نواة الدولة الإسلامية الكبرى فيها، ولكل كيان سياسي فتي العديد من الأعداء ويواجه العديد من المخاطر والتحديات، ولهذا السبب في هذه المرحلة من حياة الدولة النبوية المباركة لم تظهر على الصعيد العملي تيارات وحركات سياسية تعمل بصورة واضحة على السيطرة على مقاليد الحكم بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، إلاّ أنه بعد فتح مكة وانتقال الطلقاء من مكة إلى المدينة بدأت مرحلة الاستعداد للسيطرة على السلطة وإزاحة منصب السماء عن موضعه الذي أراده الله تعالى له، فظهرت العديد من الاتجاهات في وسط المجتمع المسلم، وحيث أن بدأ توسع الدولة النبوية وانتشارها خارج حدود المدينة المنورة، وهي المدّة الزمنية التي قاربت ظهور هذا النحو من التحرك السياسي كان بدأ البحث من بعد غزوة الأحزاب.

مع العلم أنّ التشيع قرين الإسلام منذ البداية لم ينفك عنه، كيف وأول من دعا الناس إلى إتباع أمير المؤمنين عليه السلام بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو صاحب الرسالة الغراء.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية للدولة
الإسلامية بعد غزوة الأحزاب

بعد أن أجلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهود بني النظير عن ديارهم عمد زعماؤهم لحشد صفوف المشركين واليهود في جبهة واحدة ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فطلبوا من زعماء قريش أن يساعدوهم في القضاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأجابهم القرشيون إلى طلبهم، ثم طلبوا من غطفان وبني سليم وبني أسد الاشتراك معهم فأجابوهم أيضاً، وضمن يهود بني النظير لمشركي العرب أن يساعدهم في القضاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهود بني قريظة.

وعلم المسلمون بعزم المشركين على غزوهم فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحفر الخندق لمنع المشركين من اقتحام المدينة.

لما وصل المشركون المدينة فوجئوا بالخندق لأنه من الوسائل الدفاعية العسكرية التي لم يعهدها العرب في معاركهم، فعسكروا عند الخندق إذ ليس لهم طريق آخر إلى المدينة، لأن أطراف المدينة الأخرى فيها بساتين المدينة وبيوتها وعند مهاجمة المدينة من خلالها تتحول الحرب إلى حرب شوارع والفوز فيها سيكون حليفاً لأهل المدينة المتمرسين على حرب الشوارع، فضرب المشركون طوقاً حول الخندق ودام الحصار أكثر من عشرين يوماً وكان عدد القوات المحاصرة زهاء عشرة الآف مقاتل، بينما لم يتجاوز جيش المسلمين ثلاثة الآف مقاتل.

وفي هذه المدّة سعى زعماء بني النظير لإقناع بني قريظة لنقض عهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستجابوا لهم بعد طول امتناع.

وطول مدة الحصار لم يحصل سوى التراشق بالنبال، ولم تقع مبارزة بين الفريقين الا عندما اقتحم بعض أبطال قريش الخندق فتصدى لهم أمير المؤمنين عليه السلام.

كانت غزوة الأحزاب تمثل نقطة انعطاف في التاريخ العسكري والسياسي للدولة الإسلامية، فالعرب كانوا معتادين على الحروب السريعة ذلك لأنهم لم يكونوا يعيشون في المدن المحصنة، لذا كانت حروبهم سرعان ما تندلع ويحدد النصر والهزيمة في وقت قصير نسبياً، وهذه هي الحالة العامة في المعارك التي كانت بين القبائل العربية، وبين المشركين وقوات المسلمين في بدر وأحد وحنين وغيرها من المعارك، فكان طول مدّة الحصار التي دامت أكثر من عشرين يوماً قد أوقع السأم والضجر في نفوس القوات المحاصِرة كما أنه كان باعثاً للقلق والاضطراب والحيرة والخوف في نفوس القوات المحاصَرة.

ونتيجة للسأم والضجر اقتحم بعض البواسل من فرسان قريش الخندق وهم عمرو بن عبد ود العامري الذي كان يعد بألف فارس وعكرمة بن أبي جهل المخزومي وضرار بن الخطاب الفهري وهبيرة بن وهب ونوفل بن عبد الله، ودعا عمرو المسلمين للمبارزة فلم يستجب أحد فنهض أمير المؤمنين عليه السلام لمبارزة عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

برز الإيمان كله إلى الشرك كله.

فبارز عليه السلام عمرواً وقتله بينما فر الباقون. وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ضربة علي يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين.

كان لقتل عمرو بن عبد ود أثر سلبي كبير في نفوس القوات المحاصرة وهي الحقيقة التي كشف عنها قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند تقدم أمير المؤمنين

عليه السلام لقتال عمرو بن عبد ود خرج الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه، فكان مقتل عمرو يعد خسارة عظمى للمشركين وعاملاً أساسياً من عوامل انكسارهم فيما بعد، وفي المقابل كان مقتله فوزاً كبيراً للمسلمين وعاملاً من عوامل اشتداد عزيمتهم.

لكن مقتل عمرو بن عبد ود على ما تركه من الآثار النفسية السلبية لم ينه حصار المشركين للمدينة لأن عددهم الضخم ودعم اليهود لهم كان يهون عليهم خسارتهم عمرواً.

وفي هذه الظروف العصيبة هدى الله نعيم بن مسعود الأشجعي للإسلام فجاء سراً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأعلن إسلامه وطلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأمره بأمره فإن شاء التحق نعيم بصفوف المسلمين عند الخندق وإن شاء أوقع الفتنة في صفوف المشركين واليهود وفتّ وحدة صفهم، فأمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يسعى ما أمكنه في إضعاف صفوف المشركين لأنه انفع في الظرف الفعلي إذ هو ليس إلاّ رجلاً واحداً، ووجوده بين المسلمين عند الخندق لن يغير شيئاً في الموازين العسكرية.

فذهب نعيم إلى بني قريظة وكان صديقاً لهم قبل إسلامه وأشاع بينهم أن قريشاً إن طال زمن الحصار ولم تظفر بالمسلمين عادت إلى بلادها وتركتهم، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أشار عليهم أن يطلبوا من قريش رهائن من أشرافهم ورؤسائهم فإن قريشاً لن تترك أولئك وتذهب، وطلب منهم أن يكون ما أخبرهم به سراً فوعدوه بذلك، ثم ذهب إلى قومه وهم غطفان وإلى قريش فأخبرهم أنّ اليهود طال عليهم العهد وهم ينوون العودة إلى عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويريدون أنْ يبرهنوا له على صحة دعواهم وصدق نواياهم بتسليمه مجموعة من أشراف قريش ليقتلهم

وطلب إليهم أن يكون ذلك سراً بينه وبينهم.

كان ما قام به نعيم بن مسعود عاملاً مهماً في زعزعة الثقة بين اليهود والمشركين، في الوقت الذي كانت قوات المشركين تعاني من نقص المؤن ذلك لأهم لم يتوقعوا محاصرة المدينة هذه المدة الطويلة.

والمشكلة الأهم تنصل اليهود من وعودهم في مساعدقم في القضاء على الدولة النبوية وخشى المشركون شيوع خبر تنصل اليهود مما سيفت في عضد القوات المحاصرة فقرروا الإسراع في مهاجمة المدينة إذا اطمأنوا من كون اليهود إلى جانبهم، فأرسلوا إلى اليهود يطلبون منهم مهاجمة المدينة من الخلف بينما يقومون هم بالهجوم من حيث أمكنهم اقتحام الخندق، فرفض اليهود الاشتراك في القتال ما لم يقدم لهم المشركون رهائن من ساداقم فرفض المشركون ذلك ونتج عن ذلك تفتيت جبهة الكفر حيث لم يعد في مواجهة المسلمين سوى مشركي العرب.

بدأت مجموعة من التحديات تواجه القوات المحاصرة:

١ـ العامل النفسي فالسأم والضجر بدا واضحاً بين صفوف المشركين.

٢ ـ نقص المؤن الذي تحتاجه القوات لإدامة الحصار مع الكم العددي الكبير الذي يشكله الجيش مقاتلة ودواباً.

٣ ـ عدم الاطمئنان إلى النتائج لما رأوه من شدة الصبر الذي تمتع به المسلمون طيلة الحصار والمراقبة المستمرة للأماكن التي يتوقع تسلل المشركين منها إلى وراء الخندق.

٤ ـ بالإضافة إلى قتل عمرو بن عبد ود الذي كان لوحده عاملاً نفسياً سلبياً بين صفوف المشركين.

وبالإضافة إلى الأسباب المتقدمة عملت يد الغيب عملها في إنهاء الحصار وتحطيم غطرسة المشركين العسكرية والسياسية أمام الدولة النبوية حيث أرسل الله تعالى الرياح العاصفة الباردة والظلام الدامس فأكفأت القدور واطفأت النيران فكان واحدهم لشدة الظلمة لا يرى من إلى جنبه فقرر زعماء قريش إنهاء الحصار والعودة إلى مكة، وأول من ارتحل أبو سفيان وفي الصباح علم شركاء قريش بترك قريش حصار المدينة فعادوا أدراجهم إلى بلدانهم.

كان فشل المشركين في القضاء على الدولة الإسلامية في غزوة الأحزاب يعدّ فتحاً مبيناً للمسلمين وأضاف إلى قوتهم العسكرية والسياسية الشيء الكثير، حيث أصبحت المدينة بعد الأحزاب مركزاً سياسياً وعسكرياً مرهوب الجانب عند قبائل العرب وفي المقابل فقد المشركون الثقة بقدراتهم أمام قدرة الدولة الإسلامية، كما أنه لم يعد هناك احتمال لجمع قوى الشرك مرة أخرى لمهاجمة الدولة النبوية لأن تلك التجربة كانت الأولى وانتهت بالفشل الذريع.

وبعد الأحزاب لم يعد هناك خطر عسكري يواجه المسلمين عدا ما يمكن أن تقوم به قريش من هجوم عسكري إلاّ أن الظروف العسكرية التي يعيشها القرشيون لا تساعدهم إلى المبادرة بالهجوم العسكري على المدينة لقوة المسلمين العسكرية التي جربوا حظهم معها في بدر وأحد، وعدا قريش من قبائل العرب لم يكن لها دافع خاص ولا منافع خاصة تشجعهم لخوض المعارك ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم يعلمون مدى القوة والمنعة التي يتصف بها أهل المدينة المنورة.

بقي هناك خطر مهم لابد للمسلمين من اجتثاثه لأنه من الممكن أن يتحول إلى خطر جدّي في أي لحظة من اللحظات وهو خطر يهود بني قريظة الذين من الممكن أن يغدروا بالمسلمين خاصة وأنهم نكثوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه

وآله وسلم فقرر النبي صلى الله عليه وآله وسلم التوجه إليهم بعد الفراغ من الخندق مباشرة.

قاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم جيش المسلمين وحاصر اليهود، فاستسلموا بلا قتال ونزلوا على حكم سعد بن معاذ الأنصاري رضوان الله عليه الذي حكم بقتل الرجال وسبي النساء والذرية وتقسيم الأموال بين المسلمين.

وهكذا زالت المخاطر القريبة التي كانت تهدد الدولة النبوية وبدأت الدولة الإسلامية مرحلة جديدة من مراحل وجودها السياسي.

وبعد هزيمة الأحزاب وبني قريظة توالت غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1] وكان النصر حليفه في جميع غزواته مما كان يزيد في قوة الموقع السياسي والعسكري للدولة النبوية ذلك لأن بلاد مشركي العرب التي يفتحها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا محيص لها من دخول الإسلام فتضاف إلى دولته صلى الله عليه وآله وسلم والتي لم يغزها بعد تدخل في عهده صلى الله عليه وآله وسلم فتكون موضعاً آمناً بالنسبة للمسلمين بالإضافة إلى ما تضيفه المناطق الداخلة في الإسلام أو المعاهدة من قوة لاقتصاد الدولة الجديدة بسبب الزكوات والأخماس التي يدفعها المسلمون والفرائض المالية التي يدفعها غير المسلمين بحسب ما يجري عليه عقد الصلح بين الدولة الإسلامية وأهل الذمة.

---

١ - بحار الأنوار ج٢٠ص١٨٦، الإرشاد ج١ ص٩٧، كنز الفوائد ص ١٣٧، الخرائج والجرائح ج١ ص٢١٥ ح٥٩، ج٢ ص٩٥٤، مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٢٤، المعيار والموازنة ص٩٠، شرح نهج البلاغة ج١٩ ص٦٢، كنز العمال ج١٠ ص٤٥٤، تاريخ الطبري ج٢ ص ٢٣٣، البداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص١٠٦، الفصول المختارة ص٢٩٣، الاحتجاج ج١ص١٩٧، السنن الكبرى ج٦ص٣٠٨، ج٩ص١٣٢، فتح الباري ج٦ص١٧٦، ج٧ص٣٠٧، الطبقات الكبرى ج٢ص٦٥.

صلح الحديبية وأثره في واقع المسلمين السياسي

توجت القدرة السياسية والعسكرية بصلح الحديبية الذي عقده النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع مشركي قريش سنة ٦ للهجرة النبوية المباركة.

كان صلح الحديبية يعني اعتراف قريش رسمياً بالدولة الإسلامية كقوة سياسية وعسكرية كبيرة لا يمكن لها قهرها.

فالمشركون لما علموا أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قادم إلى مكة للعمرة لم يرضوا أن يدخلها، لأن دخوله مكة بهذا النحو يعدّ إذلالاً لقريش وحطاً من قدرها السياسي بين القبائل فقرروا الدفاع عن مكانتهم السياسية مهما كلف الأمر فخرجوا لصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت قريش تعلم أنها غير قادرة على استأصال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين كما إنهم لم يرضوا بفقدان موقعهم السياسي بين القبائل، فكان الحل الوسط عقد هدنة بينهم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم فأجابهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما طلبوا وكان من بنود المعاهدة عودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة في عامه هذا والاعتمار في العام المقبل، ومن أهم بنود المعاهدة الكاشف عن القوة السياسية للمسلمين اتفاق الطرفين على حرية القبائل في الدخول في عهد أي من الطرفين شاءت وهو يكشف عن اعتراف قريش السياسي بالدولة الإسلامية على أعلى المستويات[1].

---

١ ـ الإرشاد ج١ص١١٩، مناقب آل أبي طالب د١ ص١٧٤، العمدة ص١٦٣، بحار الأنوار ج٢٠ ص٣١٧، تفسير القمي ج٢ ص٣٠٩ تفسير مجمع البيان ج٩ ص١٩٤، خصائص الوحي المبين ص١٦٠، التفسير الصافي ج٩ ص٤٩٤، ج٥ ص٣٤، التفسير الأصفى ج٢ ص١١٨٠ تفسير كنز الدقائق ج٢ ص٦٠٦، فتوح البلدان ج١ ص٤١ رقم ١٢٨، تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٤، تاريخ الطبري ج٣ ص٢٧٠، التنبيه والإشراف ص٢٢١، البداية والنهاية ج٤ ص١٨٨، تاريخ ابن خلدون ق١ج٢ص٣٢٢، الكافي ج٨ ص٣٢٢ ح٥٠٣، إعلام الورى ص٩٦، ←

وبمجرد كتابة وثيقة الصلح أعلنت خزاعة انضمامها إلى عقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينما انضمت بكر إلى عهد قريش.

وبعد الحديبية توسعت رقعة الدولة النبوية لتشمل الكثير من القبائل التي تسكن قرب المدينة ومكة وتزايد عدد المسلمين وأصبح الناس لا يخشون إعلان إسلامهم وغدت وفود القبائل تأتي وتعلن الإسلام وتعود إلى بلدانها، وهذا كاشف آخر عن قوة الدولة الإسلامية ففي الوقت الذي كان المسلم في بداية الدعوة يضطر إلى اللجوء إلى المدينة المنورة أو إخفاء إسلامه، أصبح المسلم يعود إلى قبيلته وهو يشعر أن وراءه قوة تدافع عنه أعظم من القبيلة التي ينتمي إليها فإن تجاوز عليه أحد أو قتله طالبته الدولة النبوية بدمه، فأصبح غير المسلمين لا يتعرضون للمسلمين بسوء في قبائلهم، وهذا من أوضح الدلائل على إنهيار جبهة الشرك داخلياً وتنامي القوة الإسلامية واشتدادها.

أدرك المشركون أنّ الدولة النبوية بلغت من المجد السياسي والقوة العسكرية الذروة، وأنّ سياسة النبي صلى الله عليه وآله وسلم القائمة على أساس إقامة الدولة الواحدة إذ كل من يدخل الإسلام يذعن بالطاعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقيم الفرائض العبادية التي جاء بها الإسلام وعليه أنْ يمثل مقررات الدين الحنيف، وهذا يعني أنه لو توافرت له الظروف المناسبة التوجه بالمسلمين لفتح مكة وإدخالها في حيز سلطته ودولته وحينئذ يصبح رؤساء المشركين من قريش كغيرهم من الناس لا يمتازون بأي ميزة عن الآخرين، فوازن

١٠١، دعائم الاسلام ج١ ص٣٢٤، شرح نهج البلاغة ج١١ ص٢٠٠ قصص الراوندي ص٣٤٦، ٣٤٨، تفسير ابن كثير ج٤ ص١٩٧، تفسير القرطبي ج٨ ص٦٤، تفسير الطبري ج٢٦ ص٩٦، صحيح مسلم ج٣ ص١٤١١، صحيح البخاري ج٢ ص٩٧٧، صحيح ابن حبان ج١١ ص٢٢، المستدرك على الصحيحين ج٢ ص١٦٤ح٢٦٥٦، سنن البيهقي ج٩ ص٢٢٦، مصنف ابن أبي شيبة ج٧ص٣٨٢، مسند أحمد ج٤ ص٣٢٥، ٣٣٠، المعجم الكبير ج٢٠ ص١٢، فتح الباري ج٥ص ٢٤٤، عون المعبود ج٧ ص٣١٨، السيرة النبوية ج٤ ص٢٨٣.

خالد بن الوليد وعمرو بن العاص[1] الأوضاع ودرسوها دراسة موضوعية فوجدوا أنّ البقاء مع قريش وعدم الالتحاق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم سيضيع عليهم الكثير من الفرص التي يمكن استثمارها فقررا مغادرة مكة والالتحاق بالمدينة لدراسة الأوضاع عن قرب لضمان مستقبلهما السياسي، فتركا مكة إلى المدينة سنة سبع هجرية وأعلنا إسلامهما.

فتح مكة وأثره في الواقع السياسي

لم تمر بعد صلح الحديبية مدّة طويلة حتى فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة لتتحطم بذلك أهم مراكز الشرك في جزيرة العرب واضطر القرشيون لدخول الإسلام كرهاً بعد أن ضاقت الأرض عليهم بما رحبت فدخل الإسلام أبو سفيان وابنه معاوية وعكرمة بن أبي جهل - الذي أهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دمه ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة - وغيرهم من الذين بذلوا ما وسعهم للقضاء على الإسلام.

أصبح الوضع السياسي الذي تعيشه المدينة بعد فتح مكة مغايراً لسني ما قبل الفتح، ذلك لأن شخصيات مكة انتقلت إلى المدينة لأنها عاصمة الدولة وهم يسعون أن يكون لهم وجود فيها لضمان أكبر قدر ممكن من المكاسب السياسية والاجتماعية والمادية، وكان الوضع السياسي الجديد يقتضي التصرف على الصعيد الإداري بنحو يتناسب مع الظروف الجديدة ففي السنوات السابقة كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا ترك المدينة لغزوة استخلف ابن أم مكتوم الرجل الضرير، بينما يكون أمير المؤمنين عليه السلام إلى جنبه، أما بعد الفتح فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد السير إلى مكان بعيد يستخلف أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة احتياطاً كما حصل في غزوة تبوك إذ لم يكن يأمن من استغلال المنافقين - الذين كثر عددهم في المدينة - لظروف غيابه للقيام بانقلاب عسكري.

---

١ . انظر تاريخ الطبري ج٢ ص٣١٤ و البداية والنهاية ج٤ص١٦٢.

الوضع السياسي بعد فتح مكة

بعد فتح مكة وسقوط أهم معاقل الشرك والوثنية في بلاد العرب تضاعفت القدرة السياسية والعسكرية للدولة الإسلامية بنحو عام، بحيث لم تمض على فتح مكة إلاّ مدّة قصيرة حتى خضعت جزيرة العرب بتمامها للدولة الإسلامية والتحقت اليمن بالدولة النبوية وأصبحت حدود الدولة النبوية تمتد إلى حدود العراق الذي كان تحت سلطة المناذرة التابعين لدولة فارس من جهة، والشام التي يحكمها الغساسنة التابعين للروم الهراقلة من جهة أخرى، ويحدها الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي والبحر العربي وبحر عمان من الجهات الأُخَر.

كانت هذه الرقعة من الجغرافيا السياسية التي تحتلها الدولة النبوية تمثّل تهديداً للدول الأُخَر، وتواجه تهديداً منها، ذلك لأن الدولة النبوية أصبحت قوة سياسية وعسكرية إلى جنب الفرس والروم والأحباش.

من الناحية العسكرية كانت هناك جملة من الموانع الطبيعية التي تمثّل عنصر قوة للدولة النبوية منها:

١ ـ إحاطتها بالمسطحات المائية الواسعة من أطراف ثلاثة.

٢ ـ وجود الدولة الإسلامية في صحراء قاحلة يتعذر على الجيوش الغازية الوصول إليها الا بمؤن وميرة تكلف ميزانية الدولة الغازية الكثير مع عدم وجود ثروات عظيمة في هذه الصحراء القاحلة تستدعي بذل مثل هذه الأموال الطائلة لاستثمار تلك الثروات.

ومن الناحية السياسية كان العداء المستحكم بين الدولتين الفارسية و الرومية عاملاً لدرء الخطر مؤقتاً عن الدولة النبوية حيث أضعفت الحروب الكثيرة كلتا الدولتين، وكانت كلتاهما تخشى القيام بمغامرة في جزيرة العرب خوفاً من الأخرى.

هذا بالإضافة إلى عدم الإنتباه من قبل الدولتين لخطر الدولة الإسلامية بسبب سرعة إنتشار الإسلام وبسط نفوذ الدولة الإسلامية على جزيرة العرب فإنه يمكن القول إنّ التوسع العظيم للدولة الإسلامية تحقق مدّة زمنية قصيرة نسبياً فالمدّة بين عقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلح الحديبية وحتى فتح مكة لم تستغرق سوى سنتين أو ثلاث.

الصراع مع الدول الكبرى

كانت أول بوادر الصدام العسكري والسياسي بين الدولة النبوية والدول الكبرى بعد صلح الحديبية حيث أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتباً إلى ملوك الدول يدعوهم فيها إلى الإسلام فأحس ملوك الدول بخطر الدولة الجديدة إلاّ أنهم لم يجسروا على خوض حرب في جزيرة العرب للأسباب المتقدمة.

والذي سرع في اندلاع الصراع المسلح بين قوات الدولة الإسلامية والروم قيام أحد ملوك الغساسنة بقتل مبعوث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوة عسكرية مؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل تأديباً للملك الغساني، فعلم الغساسنة بالبعث فاستنجدوا بالروم الذين أمدوهم بمائة ألف مقاتل وعبأ الغساسنة قواهم فكانوا بالإضافة إلى ما التحق بهم من الأعراب مائة ألف مقاتل أيضاً، وعلم المسلمون بالقوة العسكرية التي أعدها الروم والغساسنة فانحازوا إلى مؤتة وقرروا خوض القتال مهما كلف الأمر.

اندلع القتال بين المعسكرين غير المتكافئين من حيث العدد والعدة، وأبلى المسلمون في المعركة بلاءً حسناً، واستشهد في ساحة الوغى الأمراء الذين عينهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضوان الله عليهم.

وكان للبسالة التي أبداها المقاتلون مع قلة العدد أبلغ الأثر في خوف الدول الكبرى من مهاجمة الدولة الإسلامية في أراضيها.[١]

ومن الأدلة الأخرى على قوة شوكة المسلمين وتعاظم منزلتهم السياسية والعسكرية في نظر الدول الكبرى آنذاك مجريات غزوة تبوك حيث بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الروم يحشدون القوات العسكرية لغزو بلاد المسلمين فقاد صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً مؤلفاً من خمس وعشرين ألف مقاتل لصد الروم، في الوقت الذي كانت جموع هرقل تفوق عدد المسلمين بأضعاف مضاعفة إلاّ أنهم لم يجرؤا على خوض الحرب بسبب تجربتهم في مؤتة التي كان نسبة المسلمين فيها بالنسبة إلى الروم دون السبع.

فكيف الحال في غزوة تبوك التي بلغ عدد جيش المسلمين فيها خمس وعشرون ألفاً والنبي صلى الله عليه وآله وسلم حاضر بين المقاتلين.

تحديات المرحلة الجديدة

هذا ما يتعلق بالتهديدات الخارجية التي كانت تواجه الدولة الإسلامية، وأمّا على الصعيد الداخلي فإن عدد المنافقين والمتربصين الدوائر بالدولة النبوية كان آخذاً بالازدياد، فهناك منافقو المدينة، وانظمّ إليهم منافقو مكة، والأعراب الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم فهؤلاء كانوا يشكّلون خطراً داخلياً جدّياً يهدد عاصمة الدولة الإسلامية الأمر الذي دعى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى استخلاف أمير المؤمنين

١ ـ انظر كتاب المحبر ص١٢٣، كتاب المنمق ص٤٠٧، تاريخ اليعقوبي ج٢ص٦٥، تاريخ الطبري ج٢ ص٣١٨، المنتخب من ذيل المذيل ص٢، التنبيه والإشراف ص٢٣٠، البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٥، تاريخ ابن خلدون ق١ج٢ص٢٢٤، مقاتل الطالبيين ص٦، مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٦، ذخائر العقبى ص٢١٨، بحار الأنوار ج٢١ص٥٠، المعجم الكبير ص١٠٦، شرح نهج البلاغة ج١٥ ص٦١، كنز العمال ج١ ص٥٥٤.

عليه السلام على المدينة في غزوة تبوك تحرزاً من الأخطار المحتملة.

كان نشاط المنافقين السياسي ومؤامراتهم بلغت مستوى خطيراً إذ اتفق المنافقون على اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام وجرى ذلك في وقتين متقاربين ولكن الله تعالى رد كيد المنافقين إلى نحورهم، وتمثلت خطة اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1] بتنفير ناقته في طريقه إلى تبوك عند العبور في بعض الممرات الجبلية الوعرة حيث كانت المنطقة التي سيمر بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مشرفة على وادي مهول فقرر المتآمرون وضع الأحجار في الدباب وإرسالها على سفح الجبل عند مرور النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيكون تدحرجها مع ما فيها من أحجار مصحوباً بصوت عال يفزع الناقة فتقع في الوادي ويقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأما أمير المؤمنين عليه السلام فإنهم حفروا في طريق عودته حفرة عميقة واختفوا في مكان قريب منها منتظرين وقوعه فيها ليرموه بالصخور ليدفنوه في الحفرة إلاّ أنّ الله تعالى رد كيدهم إلى نحورهم[2].

---

١ ـ الكافي ج ٨ ص ٣٢٢ ح٥٠٣، أمالي الطوسي ص ١٢٨ح ٢٠٢ / ١٦، ص ١٨٧: ٣١٥/ ١٧، الاحتجاج ج ١ص ٣٢٥، ذخائر العقبى ص ٧٦، ٢٣٢، ٨٥، بحار الأنوار ج ١٠ ص ٣٩، ج٧١ ص ٢٨٦، ج ٨١ ص ٥ح٢، ج ٨١ ص ٢٩ح١٥، علل الشرائع ص ٤١٢، ج٩٦ص ٢٣٥ح٩.

٢ ـ مسند أحمد ج ١ص ٣٤٢، ج ٣ص ٣٢٩، ج ٣ص ٤٨٦، ٣٢٨، سنن الدارمي ج ٢ص ٢٣٧، صحيح البخاري ج ٣ص ١٦٧، ج ٣ص ١٧٨، ج ٤ص ٧٠، ج ٥ص ٦٢، ٦٧، ج ٦ص ٤٥، صحيح مسلم ج ٥ص ١٧٣، ١٧٦، ١٨٩، سنن أبي داود ج ١ص ٤١١ ح ١٨٣٢، ص ٦١١ ح٢٧٠٠، ص ٦٢٨ ح ٢٧٦٥، ج ١ص ٦٣٠ ح ٢٧٦٦، سنن الترمذي ج ٥ص ٢٩٧ح٣٧٩٩، المعجم الأوسط ج ٤ص ١٥٨، المعجم الكبير ج ٢٠ ص ٨، ١٤، ١٦، أدب الإملاء والاستملاء ص ١٨، شرح نهج البلاغة ج ٢ص ٢٣٢، ٢٧٥، ج ١٠ص ٢٥٨، ج ١٤ص ١٧٢، كنز العمال ج ١٠ص ٤٧٨ ح٣٠١٤٩، ٤٨٠، كمال الدين وتمام النعمة ص ٥٠، ٢٠٩٢٥٧، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٤، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٧٠.

وبعد العودة إلى المدينة المنورة استمر التخطيط للقضاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنع أمير المؤمنين عليه السلام من الوصول إلى كرسي الحكم إن لم يتمكنوا من القضاء عليه، ولأجل ذلك قاموا بعقد اجتماعات كثيرة قرروا فيها رسم خطوات التحرك بصورة أدق،فكانت الخطوط العامة تتمثل في:

١ـ الإبقاء على الإسلام بوصفه ديناً رسمياً للدولة لحفظ وحدة الدولة وضمان سيادة قريش على قبائل العرب وتوجيهها ضمن المخطط القرشي الرامي إلى الاستفادة من القوة البشرية الهائلة التي استطاع الإسلام ضمها إلى بعضها لتوسيع رقعة الدولة وبسط النفوذ على ممتلكات الدول الأُخَر وضمها إلى الدولة الجديدة بعد أنْ رأوا بأم أعينهم قوة الدولة الأسلامية في مواجهة الروم وضعف الفرس والروم وعجزهم عن القضاء عليها.

٢ ـ قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام.

٣ـ محاصرة بني هاشم اجتماعياً وإعلامياً وسياسياً واقتصادياً.

٤ـ كسب زعماء الأنصار وإشراكهم في المؤامرة، خصوصاً بعد وفاة زعيم المنافقين عبد الله بن أُبي.

فأما قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام فقد حاولوه في غزوة تبوك ولكن لم يفلح السعي، وكان بالإضافة إلى سعي المنافقين سعي اليهود للقضاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في قصة الشاة المسمومة وأغلب الظن أنّ السم الذي دس في الشاة كان بطئ المفعول يعمل أثره في أربع سنين،فيكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد سقي السم سنة سبع للهجرة على يد اليهود، بينما وقع فتح مكة سنة ثمان للهجرة ولو كان مسلمة الفتح قد علموا بسقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم السم بطئ المفعول ـ وهو احتمال قوي جداً لطبيعة العلاقة الحميمة التي

ولدها العداء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بين اليهود والمشركين ـ فحينئذ هم يعلمون إجمالاً السنة التي سيتوفى فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما وفر لهم فرصة زمنية كافية للتخطيط للمستقبل، ولا يتنافى هذا مع محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في موعد سابق على زمن تأثير السم ذلك لأن خيوط المؤامرة إذا كانت تامة فالتعجيل بها أفضل خشية أن تستجد أمور تفشل التدبير.

وكانت أهم المشكلات التي تواجه المتآمرون توزيع السلطات بعد السيطرة على الحكم وكان اهم العوائق هي تسمية شخصية تكون موضع رضا القوى المتنافسة على الحكم خاصة وان كل واحد من القبائل ترغب أنْ تكون السلطة من نصيبها والشخص الذي يحتاجونه في هذه المرحلة يجب أن تتوافر فيه العديد من الصفات:

١ ـ أن يكون من قبائل قريش الضعيفة كي لا يتمكن من التفرد بالسلطة والانقلاب على القبائل القرشية.

٢ ـ أن يحظى بقبول الانصار إذ إنّ المخاوف سوف تتحرك في نفوسهم في حال إبعاد أمير المؤمنين عليه السلام عن السلطة من سعي قريش للأخذ بثاراتها في بدر واحد.

٣ ـ أن يحظى الشخص بصلة تربطه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كي يحضى بالاحترام الجماهيري.

كان دور بعض القرشيات من نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهماً في تحديد من يتولى الحكم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وغير أبي بكر وعمر لم تكن فرصهم كبيرة، ذلك لأن أم حبيبة مع إنها بنت أبي سفيان ـ على ما يظهر من تاريخها ـ لم تكن إلى جنب بني أمية في مؤامراتهم فلم يجد الأمويون موطئ قدم مناسب لإيصال عثمان إلى سدة الحكم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإضافة إلى أنّ موقف الأنصار قد يكون شديداً في مواجهتهم لأن

الأمويين كانوا دائماً قادة جيوش الشرك ولو وصل بنو أمية للحكم لم يأمن الأنصار من سعيهم للثأر لدمائهم، وأما بنو زهرة فلم تكن لهم إمرأة في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأمّا المحاصرة الإجتماعية لبني هاشم فقد قاموا بها بعد فتح مكة بصورة واضحة بحيث كان العباس بن عبد المطلب والسيدة صفية والسيدة سبيعة تتكرر الشكاوى منهم عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضد قريش فكان العباس يشكو ما يراه من جفاء قريش له وإظهارهم العبوس في وجهه وشكت السيدتان صفية وسبيعة إيذاء أحد القرشيين لهما، ولم تسلم نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من إيذاء قريش كما هو المتواتر عن إيذاء السيدة سودة بنت زمعة رضوان الله عليه في قصة الحجاب المعروفة، والسيدة مارية القبطية أم إبراهيم رضوان الله عليهما في قصة الإفك التي اشترك فيها اثنان من نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقاربهما.

واشتد حصار القوم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والإعلامي ضد بني هاشم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أفلح القرشيون في كسب معاذ بن جبل وأسيد بن حضير من زعماء الأوس وبشير بن سعد الخزرجي إلى صفوفهم.

المخاطر التي واجهت الدولة

في أخريات حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت الأخطار الداخلية المحدقة بالدولة النبوية تتمثل في اتجاهات ثلاثة:

١ـ الاتجاه الرامي إلى عودة جزيرة العرب إلى حالها في عصر ما قبل الإسلام، وهو أضعف الإتجاهات.

٢ ـ الاتجاه الرامي إلى بناء دويلات دينية كما فعل مسيلمة وسجاح وطليحة.

٣ ـ الاتجاه الرامي إلى حفظ كيان الدولة النبوية ومنع بني هاشم من الوصول إلى سدة الحكم وهو اتجاه مسلمي مكة وبعض زعامات المدينة ومن انظم إليهم من أعراب الحجاز وعلى رأسهم قبيلة أسلم الساكنة بالقرب من المدينة المنورة.

الأوضاع السياسية بعد حجة الوداع

في السنة العاشرة للهجرة حج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حجه الأخير الذي عرف بحجة الوداع، وبعد فراغه من الحج ومغادرته مكة نزل عليه جبريل وأبلغه أمر الله تعالى بإبلاغ المسلمين ولاية أمير المؤمنين عليه السلام من بعده واخذ البيعة له منهم.

كان الزمان والمكان اللذين اختارهما الله تعالى لإبلاغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأمة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام من الظروف الزمانية والمكانية التي تحتفر في ذاكرة الإنسان ولا يمكن أن تنسى وتزول.

فالمكان بعد الخروج من مكة في مفترق الطرق وبعض الناس قد تقدم وبعض لم يصل بعد، وصدر الأمر بالوقوف في ذلك المكان وإعادة المتقدم وانتظار المتأخر، العدد كبير جداً بلغ على بعض الروايات مائة وعشرين ألف من المسلمين، الحادث الأهم إبلاغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين أنه سيلبي دعوة ربّه وأنه ملتحق بالرفيق الأعلى، الغاية من الوقوف تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام حاكماً على المسلمين من بعده وأخذ البيعة له.

نصب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام أميراً على الناس من بعده في الثامن عشر من ذي حجة سنة عشرة للهجرة، وبايعه جميع من حضر

وروي أنّ عمر قال له بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

عاد الناس إلى أوطانهم وهم يتحدّثون بالبيعة وبقرب رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم[1].

أحس القرشيون بضرورة التحرك والعمل السريع للانقضاض على الخلافة ومنع أمير المؤمنين عليه السلام من الوصول إلى الحكم، وكان العمل داخل المدينة وحواليها يحتاج إلى أمرين مهمين:

١ ـ تعبئة الطاقات للسيطرة على الأوضاع داخل المدينة.

٢ ـ التخطيط الدقيق لمنع حصول اصطدام سريع يفوّت الفرصة ويفشل التخطيط، وضرورة اتخاذ الموقف المناسب تجاه الأحداث في أوانها. كان المتآمرون داخل المدينة يتحركون بصورة سريعة وسرية وبدأت تلوح في الأفق بوادر التحرك التآمري

---

١ . بعض المصادر التي ورد فيها حديث من كنت مولاه فعلي مولاه:

المسترشد ص٤٦٧، ٤٥٤. شرح الأخبار ج١ص٩٩وما بعدها ح٢١وما بعده، الإرشاد ج١ص٨، ١٧٦، ٢٥١، ٢٥٢، أمالي المفيد قدس سره م٧ح ٢ص٥٨، م٦ح٢، أمالي الطوسي قدس سره م١ح٩، م ح ٢٥ر٤٣٣، م ح ٤٧ر٥٠٩، م ح ٤ر٦٦٤، م ح٧ر٦٦٧، م ح ١٢ر ٦٧٢، م ح٤٤ ر٧٥٤، م ح ٣ر٩٤٦، م ح ٤ر١١٦٨، م ح ٥ر١١٦٩، م ح١٧ر١٢٤٢، م٨ح ٤٨ر٣٩٨ص٢٧٧، م ح٤٨ر٤٥٦ص٢٥٤، م يوم الجمعة٢٤/محرم/٤٥٧ ح١٥ر ٤٥٩ ص٢٥٥، م ح٨ ر١١٧٢ ص٥٥٨، الاحتجاج ج١ص٩٦، ٧٥، ١٠٣، ١٥٥، ١٩٦، ٢١٤، ٢٨٠، ج٢ ص٢٥٢ الأربعون حديثاً ص٨٢، مناقب آل أبي طالب ج١ص٢٢٩ ج٢ص٣٤، ٢٧، ١١٣، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٥١، ٢٦٨، المزار الكبير . محمد بن المشهدي ص٢٧٢، ٢٨٧، ٥٦٧،، المصنف . عبد الرزاق الصنعاني . ج١١ص٢٢٥، المعيار والموازنة ص٧٢، ٢١٠، ٢١١، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٨، ٢٢٢، ٢٢٣، المصنف – ابن أبي شيبة – ج٧ص٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥٠٦، جزء ابن عاصم ص١٢٦، تأويل مختلف الحديث ص ١٤، ٤٤،، السنن الكبرى ج٥ص٤٥، ١٠٨، ١٣٠١٣٦ج١ص١١٢، ج٢ص٢٤، ٢٧٥، ٣٢٤، ٣٦٩، ج٦ص٢١٨، ج٧ص٧٠، ج٨ص٢١٢.

حيث بدا الوجه الكالح للنشاط الإعلامي المضاد للدولة العلوية، وأصبح الحديث عن محاولة عزل أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلافة علناً في مجالس القرشيين الخاصة.

(عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قال بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوم من قريش أنهم قالوا: أيرى محمد أنه قد أحكم الأمر في أهل بيته، ولئن مات لنعزلنها عنهم، ولنجعلها في سواهم. فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قام في مجمعهم، ثم قال: يا معشر قريش كيف بكم وقد كفرتم بعدي ثم رأيتموني في كتيبة من أصحابي أضرب وجوهكم ورقابكم بالسيف ؟ فنزل جبرئيل عليه السلام في الحال فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: قل: إن شاء الله، أوعلي بن أبي طالب. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن شاء الله، أوعلي بن أبي طالب يتولى ذلك منكم)[1].

وعلى صعيد آخر ازداد التحرك على الأنصار لكسب أكبر عدد ممكن إلاّ أنّ المتآمرين لم يوفقوا إلاّ لكسب المنافقين من أتباع عبد الله بن أبي، وعدد قليل من زعماء القبائل، فرسموا خطة بديلة الغاية منها القضاء على وحدة الأنصار ومفاجأتهم بالدعوة إلى بيعة أحد القرشيين لإرباك وضع الأنصار النفسي ودفعهم لإتخاذ قرار غير مدروس، وهذه المهمة المركزية ألقيت على عاتق زعماء الأنصار الذين كسبهم القرشيون.

وكانت الخطة تتمثل في إيصال أنباء سعي قريش للسيطرة على الحكم إلى الأنصار وكإجراء مقابل يعقد الأنصار اجتماعاً يرسم خطوطه العامة الشخصيات التي تم اكتسابها من القرشيين، وهم سيقومون بدعوة الأنصار جميعاً وسيسعى الأنصار بطبيعة الحال إلى انتخاب خليفة لهم من بينهم، وعلى أنصار قريش أن يمنعوا الأنصار من عقد البيعة لزعيمهم المنتخب حتى وصول الزعامات القرشية التي كانت تراهن على

١ . امالي المفيد رحمه الله م١٣.

مباغتة الأنصار والاستفادة من مشاعر التنافر بين الأوس والخزرج في خطة محكمة كشفت عنها أحداث السقيفة.

وكذا سعى القرشيون لكسب الأعراب المحيطين بالمدينة فاستجابت لهم أسلم فتعبأ مقاتلتها وهيّؤا لإحتلال المدينة عسكرياً بمجرد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

كان أهم ما يواجه الحركة القرشية من أخطار التدابير الوقائية التي قد يتخذها النبي صلى الله عليه وآله لإفشال المخطط الرامي لسلب الخلافة، وكان هذا الهاجس يدعو زعماء المؤامرة إلى التأمل كثيراً في كيفية التصدي لقرارات النبي صلى الله عليه واله فكثفوا متابعة تحركات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتصريحاته واتخاذ المواقف الكفيلة بالحد من تأثير الاجراءات الوقائية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما خارج المدينة فكانت التحديات من نوع آخر حيث بدأ مسيلمة الكذاب وسجاح وطليحة نشاطهم الداعي إلى قيام دويلات تحت قياداتهم عن طريق ادعائهم النبوة، وتوصل مسيلمة وسجاح إلى عقد اتفاق بينهما كان للأشعث بن قيس فيه دور كبير لكونه من مستشاري سجاح ومنظري تحركها.

وفي هذه الظروف العصيبة مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرضه الذي توفي فيه، وكان صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخر لحظات حياته الشريفة متصدياً لإفشال المخططات التآمرية على جميع الأصعدة.

كان أهم ما يواجهه من التحديات التآمر داخل المدينة الذي سيؤدي إلى انحراف كبير في المسيرة الإسلامية، أمّا ما يقع خارج المدينة فإن السيطرة عليه ليس بالأمر العسير لو استقام أمر العاصمة، لذا قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإجرائين مهمين حاول فيهما إفشال الحركة التآمرية.

محاولات النبي صلى الله عليه وآله وسلم افشال مخطط القرشيين

كان القرشيون يوماً فيوماً يزدادون عزيمة في محاولة كسب الجولة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قرر صلى الله عليه وآله وسلم إبعاد المتآمرين لمدة طويلة يتم لأمير المؤمنين عليه السلام فيها السيطرة على المدينة وباقي جزيرة العرب بحيث يعجز المتآمرون لو عادوا أن يغيروا شيئاً وكان من الضروري أن يتم هذا الإجراء بصورة لا تحدث خدشة في صفوف المسلمين، فأمر صلى الله عليه وآله وسلم بإعداد جيش ينطلق لغزو مؤتة حيث وقع الصدام العسكري الأول مع القوات الرومية، وبعدها يتوجّه إلى فلسطين ووعد الجيش بالظفر والنصر وأرسل في هذا الجيش كل الطامعين والمتآمرين ومن يدور في فلكهم وبلغ عددهم زهاء ثلاثة الآف مقاتل[1].

تنبه القرشيون ومن في فلكهم إلى ما يهدف إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعسكروا في الجرف خارج المدينة، وكان قائد الحملة أسامة بن زيد متثاقلاً، والدلائل العامة تشير إلى أنّ القرشيين تمكنوا من كسبه إلى جانبهم فكان ضمن المخطط الذي أعده القوم للسيطرة على الخلافة.

علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ القوم لن يتركوا المدينة، بل سيكونوا بالقرب منها انتظاراً لموته.

---

١ . الملاحظ من الأدلة الروائية أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يستغفر لمن في البعث ولم يثنِ عليهم بل لعن المتخلفين منهم فيكون صلى الله عليه وآله وسلم بذلك أراد تحقيق أمرين الأول ابعاد خطر المتآمرين عن الخلافة فان لم يتم ذلك فبيان عدم صلاحية المبعوثين لتولي الخلافة لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد لعنهم. وحول بعث أسامة انظر السقيفة وفدك ص ٧٦، نهج السعادة ج ٥ ص ٢٥٩، معالم المدرستين ج ١ ص ١١١، ٣٤٥، ج ٢ص ٧٦، المسترشد ص ١١٣، حلية الأبرار ج ٢ص ٣٦٧، السقيفة- الشيخ محمد رضا المظفر ص ٨٤، فتح الباري ج ٧ص ٦٩، عيون الأثر ج ٢ص ٣٥٢.

أما الشخصيات المهمة من القرشيين فتركوا الجيش وعادوا إلى بيوتهم لاقتناص الأخبار وليكونوا على مقربة من ساحة الأحداث لاتخاذ الموقف المناسب عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قرر صلى الله عليه وآله وسلم اتخاذ موقف آخر لتفويت الفرصة على المتآمرين، وكانت الخطوة الأخرى يوم الخميس حيث اجتمع جملة من المهاجرين والأنصار في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان بينهم عدد كبير ممن أمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمسير إلى مؤتة في جيش أسامة، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتوه بدواة وكتف ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً.

أدرك المخططون للانقلاب على الخلافة العلوية ما يرمي إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كتابة الكتاب، وإنّ الذي لا تضل الأمة من بعده أبداً ليس سوى التأكيد على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام فقرر أحد أبرز زعامات الانقلاب الوقوف في وجه هذه المحاولة، وإفهام النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه إن فعل ذلك فإنهم سيدعون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدم السلامة النفسية والعقلية فقال قولته المشهورة:

(حسبنا كتاب الله إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهجر)[1].

---

١ ـ حول هذا الموضوع راجع: شرح أصول الكافي ج ١٢ص ٤١٢، الأمالي ص ٣٦، مناقب آل أبي طالب ج ١ص ٢٠٢، بحار الأنوار ج ٢٢ص ٤٧٢، ج ٢٥ ص ٨٨، ج ٣٠ ص ٢٨٤، ص ٤٦٦، ص ٥٢٢، ص ٥٤١، ص ٥٤٩، مسند أحمد ج ١ص ٣٢٤، ٣٣٦، صحيح البخاري ج ٥ ص١٣٧، ج ٧ ص ٩، صحيح مسلم ج ٥ص ٧٥، شرح مسلم ج ١١ ص ٨٩، فتح الباري ج ١ ص ١٨٦، ج ٨ ص ١٠٢، المصنف ج ٥ص ٤٣٨، شرح نهج البلاغة – ج ٢ ص ٥٤، ج ٦ ص٥١، ج ١١ص ٤٩، ج ١٢ص ٨٧، الطبقات الكبرى ج ٢ص ٢٤٣، البداية والنهاية ج ٥ ص٢٤٧، السيرة النبوية – ابن كثير ج ٤ص ٤٥١.

وهذا التصريح علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عظم الخطر الذي يواجه الدين الحنيف لو كتب الكتاب فطردهم من البيت بعد إن كان الحظور قد انقسموا إلى قسمين الأغلب - وهم المتآمرون - يرفضون كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتهددون ويتوعدون ويتهمون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالهذيان والهجران، والأقل وهم الذين حاولوا لإحضار الدواة والكتف ليكتب لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما لن يضلوا بعده أبداً.

وعلى الرغم من التعبئة العامة التي عبأها التحرك المضاد للخلافة العلوية إلاّ أنهم كانوا يحسون بالحاجة إلى وجود غطاء شرعي لتحركهم السياسي للسيطرة على الأوضاع، ذلك لأن الناس على قسمين شريك لهم في المؤامرة وغير شريك، وغير الشريك أمّا عالم بمخططاتهم فلابد من قمعه أو جاهل بها فلابد من تضليله عن طريق يوفر الشرعية لحكومة المتآمرين وهذه الشرعية إنما يوفرها صدور تصريح من بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمنح أحد المرشحين خصوصية تجعله في أذهان العامة البعيدين عن واقع الأحداث مؤهلاً لقيادة الدولة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والقوم بعد أن لعنهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطردهم من بيته في حادثة يوم الخميس والتخلف عن بعث أسامة لا يتوقعون أنْ يصدر منه أمرٌ من شأنه أن يرجح كفة المرشح من قبل قيادات التآمر قبال أمير المؤمنين عليه السلام فأراد القرشيون الاستفادة من بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان الدور هذه المرة لعائشة بنت أبي بكر.

كانت عائشة تعلم أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبسبب شدة مرضه لن يخرج ليؤمّ الناس في صلاة الصبح في المسجد، فأرسلت إلى أبيها ليصلي بالناس وادعت أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي أمر بذلك لتوهم الناس أنّ النبي صلى الله

عليه وآله وسلم يرى أبا بكر أهلاً لإمامة الناس في الصلاة فيكون ذلك دالاً على رضا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأبي بكر خليفة للمسلمين.

كان الحاضرون في المسجد ما بين شريك في المخطط القرشي وجاهل، والأولون فرحوا بتقدم أبي بكر لإمامة الناس في الصلاة والآخرون لجهلهم بمجريات الأحداث لم يعترضوا على تقدمه ظناً منهم أنّ ذلك بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أوحت بذلك عائشة.

وتقدم أبو بكر لإمامة الناس ورفع صوته مكبراً فسمعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الهدف الذي يرمي إليه القرشيون فاستشاط غضباً وخرج إلى المسجد متكأ على يد العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين عليه السلام وكانت رجلاه الشريفتان تخطان الأرض لشدة المرض، فلما وصل إلى محل الإمام أمر أبا بكر بالتنحي وصلى بالناس ثم خطبهم وحذرهم.

لم يثنِ الزعامات القرشية الفشل الذريع الذي جُوبهوا به في محاولة كسب المشروعية وعمدوا إلى انتظار فرصة أخرى يمكنهم أن يستغلوها لكسب الغطاء الشرعي، وكان ذلك في أخريات ساعات النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنْ يدعى إليه أخاه فحاولت إحدى القرشيات من نسائه أن تستغل الموقف لصالح أبيها فأرسلت إليه، وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد غطى وجهه بكساء، وكان عنده عدد كبير من المسلمين فلما جاء عمر رفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكساء فلما رآه أشاح بوجهه عنه فترك بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأرادت قرشية أخرى من نسائه كسب الموقف لصالح أبيها فأرسلت إليه فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشاح بوجهه عنه فغادر منزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزله في السنح، ثم أمرت السيدة أم سلمة أنْ يدعى أمير المؤمنين

عليه السلام فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم هش إليه وبش في وجهه وضمّه إليه وأدخله تحت الكساء معه ووضع صدره على صدره حتى فاضت روحه الطاهرة والتحقت ببارئها.

المدينة عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أعلن نبأ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان الناس على صنفين:

الأول عامة المسلمين الذين جلسوا يبكون فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم منتظرين مواراة الجسد الطاهر.

وأمّا القرشيون ومن في فلكهم فكانت هذه الساعات تمثل الساعات المصيرية التي من شأنها أنْ تحدد طبيعة الحكم الذي يخلف حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعمل المتآمرون بأسرع ما يمكنهم للسيطرة على الأوضاع داخل المدينة، فأرسلت إحدى نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أسامة تخبره بوفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضرورة الإسراع بالعودة بالقوات الموالية للتحرك القرشي إلى المدينة لأنها تمثل رقماً مهماً في معادلة الصراع، فعاد أسامة والجنود الذين يقدر عددهم بثلاثة الآف مقاتل وركز الراية في باب بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينما توجه زعامات الأنصار الذين كانوا في فلك قريش وطلبوا عقد اجتماع للأوس والخزرج في سقيفة بني ساعدة لبحث تطورات الأوضاع السياسية وأعلنوا للملأ نية قريش التصدي للحكم وإبعاد أمير المؤمنين عليه السلام وبينوا للأنصار أنّ قريشاً إنْ تصدت للحكم فليس من البعيد مطالبتهم بالدماء التي سفكت على يد الأنصار في حروبهم مع المشركين في بدر واحد، وإنّ أمير المؤمنين عليه السلام لن يستطيع الوقوف في وجه قريش بسبب اتفاق آراء القرشيين على منعه وكل الهاشميين من الوصول إلى الحكم، فإن أمير المؤمنين عليه السلام أو بني هاشم إذا وصلو إلى الحكم لن تستطيع قريش المطالبة بدماء قتلاها من

المشركين ولكن لو لم يصل الهاشميون فالأمر على خلاف ذلك.

ألقت هذه التصريحات الرعب في نفوس الأنصار فقرروا انتخاب رجل من الأنصار يقوم بأعباء الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاتفقت اراءهم على أنْ يكون سعد بن عبادة الخزرجي قائداً للدولة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

بلغت حركة الأنصار مرحلة خطرة إذ لم يبق إلاّ أنْ يبايع الأنصار سعداً فأسرع من في فلك التحرك القرشي إلى إلقاء البلبلة في صفوف الأنصار قبل عقد البيعة لسعد لتأخير البيعة لحين وصول مرشحي قريش للحكم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فطُرح على الأنصار سؤال فت في عضد الأنصار وأوقع الأخذ والرد بينهم وهو ما هو جوابكم إنْ طالبكم القرشيون بالبيعة لهم بوصفهم عشيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأولى بميراثه.

وفي هذه اللحظات أرسل المخططون لاجتماع السقيفة رجلين إلى أحد شخصيات قريش ليخبراه بمجريات الأحداث.

وأمّا في المسجد النبوي فاجتمعت بطون قريش تحسباً لأي طارئ فبنو زهرة يترأسهم عبد الرحمن بن عوف وبنو أمية يتزعمهم عثمان بن عفان وبنو مخزوم يتزعمهم خالد بن الوليد وبنو تيم يتزعمهم طلحة بن عبيد الله وبنو عدي يتزعمهم قنفذ وبنو سهم يتزعمهم عمرو بن العاص - وهكذا بقية البطون - للوقوف بوجه أي نشاط يقوم به بنو هاشم للتصدي لقيادة الدولة.

وفي اللحظات الأولى لوفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسل عمر رسولاً إلى أسلم طالباً منهم الإسراع في دخول المدينة للسيطرة على الأوضاع العسكرية والأمنية فيها.

ووقع إلى إذن عمر البحث عن مسألة الخلافة والدعوة إلى أمير المؤمنين عليه

السلام فخشي عمر أن يفاجئ بقرار يتخذ في المسجد بشأن الخلافة قبل وصول أبي بكر فأظهر عمر الحزن والجزع وادعى أنّ النبي صلى الله عليه واله ما مات ولن يموت وإنما ذهب إلى مناجاة ربه وإنّه سيعود ويقطع أيدي وأرجل من ادعى موته، كان حديث عمر المفاجئ باعثاً على تشويش اذهان حاضري المسجد، وعرف الموالون لأمير المؤمنين عليه السلام ممن حضر المسجد ما يهدف إليه عمر من هذه الدعاوى الرامية إلى الاستفادة من البلبلة لمنع اتخاذ قراراً بشأن الخلافة قبل استحكام الأمر لقريش فاصروا على وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضرورة الرجوع إلى أمير المؤمنين عليه السلام من بعده، ولما رأى عمر أنّ حيلته ما نفعت مع الشيعة وإنّه من المحتمل أنهم سيدعون الناس ويحثوهم على الوفاء ببيعة الغدير، جرد سيفه وهدد من يصر على وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقتل، وفهم من في فلك قريش مارمى إليه عمر من إنكار الوفاة والتهديد فأثاروا بلبلة شديدة في المسجد وحاصروا الشيعة ومنعوهم من السير في المواجهة.

ولم تمض لحظات حتى وصل أبو بكر من منزله في السنح إذ أرسل إليه القرشيون يخبرونه بوفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوقف في المسجد ومنع عمر من الاستمرار في ادعائه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يمت، وأبلغ الناس اعتقاده بموت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسكت عمر إذ بحضور مرشح قريش أصبحت الأمور تسير كما هو مخطط لها وإن تحقيق المراد يتوقف على الإذعان بوفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي هذه اللحظات كان وصول عويم بن ساعدة وعمرو بن عدي موفدا شركاء قريش من الأنصار إلى المسجد وأخبرا عمر عن أحداث السقيفة وأنّ الأنصار على وشك أن يبايعوا سعد بن عبادة، فأخبر عمر أبا بكر وأبا عبيدة سراً خشية أن يعلم

شيعة أمير المؤمنين عليه السلام باجتماع الأنصار فيسرعون إليهم ويكسبوهم إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام.

توجه الثلاثة إلى السقيفة في الوقت الذي كان الأنصار يتناقشون فيما بينهم فيما يجيبوا به قريشاً لو ادعت الأولوية في الخلافة.

وكان الأنصار قد اختلفوا إلى فئات ثلاث فمنهم من أصرّ على استقلال الأنصار بالحكم، ومنهم من قال نقول منا أمير ومنكم أمير، ومنهم من أصرّ على اتباع أمير المؤمنين عليه السلام.

كانت هذه البلبلة سبباً في ضعف موقف الأنصار وتأخير بيعتهم لسعد لحين وصول أبي بكر وصاحبيه، وهكذا نجح مخطط القرشيين.

وصل الثلاثة إلى السقيفة وانحاز إليهم من في فلكهم من الأنصار فألقى أبو بكر خطابه الذي دعا فيه الأنصار إلى اتباع قريش وضمن لهم ان احداً من القرشيين لن يتعرض لهم بسوء وعَرَضَ عليهم أنْ يبايعوا عمر أو أبا عبيدة فرفض الآخران التقدم على أبي بكر فأسرع بشير بن سعد الخزرجي إلى ضرب يده على يد أبي بكر مبايعاً واذهلت المفاجأة الأنصار وسارع أسيد بن حضير إلى بيعة أبي بكر وأثار في نفوس الأوس هاجس حصول الخزرج على مناصب في الدولة الجديدة دونهم فتبعته الأوس في البيعة بعد أن اسقط في أيديهم، ولما رأت الخزرج ذلك جال في أنفسهم ما جال في أنفس الأوس فبايعوا أبا بكر وبقي سعد بن عبادة وحيداً بعد إن كاد أن يكون ملكاً.

كان أهم أسباب نجاح المخطط القرشي في السقيفة الحرب النفسية التي سخروها في سبيل الوصول إلى غاياتهم، وإلى جنب الحرب النفسية كانت المفاجأة موثرة جداً في سير الأحداث مضافاً إلى الاستناد على العامل العشائري.

وانتهت السقيفة بانقسام الأنصار إلى ثلاثة أقسام:

١ـ المرتبطون بقريش وأتباعهم الفرحون ببيعة أبي بكر، والذين كان لهم فيما بعد دور كبير في إحداث الهجوم على دار فاطمة عليها السلام وإخراج أمير المؤمنين عليه السلام من داره عنوة ليبايع أبا بكر.

٢ ـ سعد بن عبادة وأهل بيته الذين رفضوا بيعة أبي بكر، وانتهت حياة سعد بمؤامرة دبرت له أوائل حكم عمر أما أهل بيته فكانوا من أوائل من ثاب إلى الرشد وكان لهم بلاء حسن إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام أيام حكمه.

٣ ـ الذين اصرّوا على الوفاء ببيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

أمّا القرشيون فكانوا يسعون لأخذ البيعة من الجميع دون استثناء لذلك أغرى عمر الحاضرين بقتل سعد بن عبادة إنْ لم يبايع أبا بكر إلاّ أن بشير بن سعد لم يرجح ذلك ولهاهم عنه، لأن سعداً لن يبايع وإن اكرهوه قاتل ولن يتخلى عنه أهل بيته ولن تتركهم الخزرج فالهم وإن بايعوا أبا بكر إلاّ أنهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي إن قوتل سعد فترك القرشيون سعداً وشأنه.

وخرج أبو بكر من السقيفة يحفه أصحابه وعمر يهرول أمامه وكلما رأى شخصاً أخذ يده ومسحها على يد أبي بكر شاء أم أبى.

وفي هذه اللحظات دخلت جموع أسلم المدينة وتم احتلالها عسكرياً وتوزع أعراب أسلم في سكك المدينة حتى ضاقت بهم الطرقات وبايعوا أبا بكر وأعلنوا أنهم حرب على من يرفض حكمه.

ووصل القرشيون ومن على هواهم المسجد، ودعا عمر من في المسجد لبيعة أبي بكر وأعلن أنّ الأنصار بايعوا أبا بكر في السقيفة فنهض القوم وبايعوا.

ولم يبق متخلفاً عن بيعة أبي بكر إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته وبنو هاشم وبعض الأنصار.

وصادف أيام بيعة أبي بكر وصول مالك بن نويرة رضوان الله عليه المدينة فعلم بوفاة النبي صلى اله عليه واله وفوجئ بأبي بكر على المنبر لأنه حضر بيعة الغدير وكان يعتقد أنَّ الامة لن تغدر بأمير المؤمنين عليه السلام فلم يصبر مالك على ما يراه فوقف في وجه أبي بكر وأعلن عن عقيدته في ضرورة تولي أمير المؤمنين عليه السلام الحكم فما كان من رجال السلطة إلاّ أن ارغموه على الخروج من المدينة وكان مالك عاجزاً عن الوصول إلى أمير المؤمنين عليه السلام بسبب الطوق المفروض على بيت أمير المؤمنين عليه السلام من القرشين ومَنْ على خطاهم.

الفصل الثاني

أبو بكر في مواجهة التحديات



بعد ان تولى أبو بكر السلطة كانت التحديات التي تواجه حكمه تتمحور في:

أ ـ داخل المدينة.

١ ـ الأنصار الذين لم يبايعوا بعد.

٢ ـ أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته وبنو هاشم.

ب ـ خارج المدينة.

١ ـ القبائل المرتدة عن الإسلام.

٢ ـ بنو يربوع الذين بقي زعيمهم مالك بن نويرة رضوان الله عليه على ولائه لأمير المؤمنين عليه السلام.

أ ـ التحديات داخل المدينة

فأمّا علاج التحديات داخل المدينة فتمثل في:

١ ـ أسرع أبو بكر إلى طمأنة الأنصار وقريش على مصالحهم عن طريق إشراكهم في إدارة الدولة فنصب معاذ بن جبل مفتياً للبلاد وأميراً للجند وزيد بن ثابت للفصل في نزاع المواريث.

وأما القرشيون فنصب عمر مسؤولاً للقضاء وأبا عبيدة مسؤولاً للمالية وخالد بن الوليد قائداً للعمليات العسكرية في شبه جزيرة العرب وعثمان بن عفان مسؤولاً للديوان ويزيد بن أبي سفيان قائداً لجيش الشام وأميراً عليها بعد ذلك، وترك أموال

الصدقة التي جاء بها أبو سفيان في يده وهكذا تم له ما أراد لإطمئنانهم على مصالحهم في الدولة القائمة، مع ملاحظة أنّ مناصب الدولة المهمة كانت قد قسمت بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة حيث كان أبو بكر المسؤول التنفيذي وعمر المسؤول القضائي وأبو عبيدة مسؤول المالية وهذه المناصب هي أهم المناصب في أي دولة من الدول.

٢ ـ أمّا الأنصار الذين لم يبايعوا بعد فكان عمر يقود المفارز المسلحة ويداهم بيوتهم ويخرجهم عنوة لمبايعة أبي بكر.

٣ ـ وأمّا أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته وبنو هاشم، فالسلطة الحاكمة تعلم أنّه ليس من السهل اخضاع أمير المؤمنين عليه السلام لسلطانها كما أنهم يعلمون أنّ عدم دخول أمير المؤمنين عليه السلام في بيعتهم يمثّل تهديداً دائمياً لهم؛ اذ من المحتمل في أيّ لحظة تكون الظروف فيها مؤاتية، يقود أمير المؤمنين عليه السلام ثورة ضدهم تؤدي إلى فقدانهم السلطة التي بذلوا كل ما في وسعهم للوصول إليها.

المواجهة بين أمير المؤمنين عليه السلام والسلطة الحاكمة

بعد إن انتزع القرشيون البيعة من الناس طوعاً وكرهاً، لم يمتنع عليهم داخل المدينة من الأنصار سوى سعد بن عبادة الذي أضحى وحيداً لأنه يمثل زعامة قبلية وقد بايعت قبيلته أبا بكر فلم يبقَ إلى جنبه من يعتد به ولم يعد له تأثير يذكر.

وما عدا سعد بن عبادة فكان هناك أمير المؤمنين عليه السلام الذي لم يكن يمثل تياراً قبلياً ليتسنى للسلطة الحاكمة عزله سياسياً واجتماعياً عن طريق كسب قبيلته، بل كان يمثل تياراً دينياً حيث أنّه كان يستند في مخالفته لهم على أسس دينية نزل بها الكتاب العزيز وأثبتها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأهم من ذلك أنّ له عليه السلام في أعناق الناس بيعة كان المفروض أنْ يلتزموا بها لكنهم خفروا الذمة وخانوا العهد.

وانضم إلى أمير المؤمنين عليه السلام عدد من الشخصيات ذات التاثير الكبير في المجتمع مثل أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي والمقداد بن عمرو الكندي، بالأضافة إلى بني هاشم وابن أُختهم الزبير بن العوام.

كان أمير المؤمنين عليه السلام معتزلاً في داره لم يبدأ القوم بشيء إلاّ أنّ السلطة الحاكمة كانت تخشى ثورته، ورأوا أنْ ليس من الحكمة الابتداء به عليه السلام مادامت المدينة لم تستسلم بعد لذا قام عمر بحملات المداهمة للبيوت والجأ الناس للبيعة.

وبعد أنْ أصبحت المدينة خاضعة لسلطة أبي بكر بدأت المرحلة الثانية من مراحل بسط النفوذ التام على العاصمة المتمثلة بالسعي لإجبار أمير المؤمنين عليه السلام ومن كان معه على الخضوع لخلافة أبي بكر.

إلى هذه المدّة كانت المدينة ما تزال تعيش الأحكام العرفية، فأسلم تحتل المدينة احتلالاً كاملاً وبَعْثُ أسامة في المدينة أيضاً، والمسجد النبوي تحتله القوات القرشية ودار أمير المؤمنين عليه السلام ضرب القرشيون عليها طوقاً من الحصار.

قرر القوم التحرش بأمير المؤمنين عليه السلام فأصدر أبو بكر أمره بمصادرة أموال الزهراء عليها السلام في فدك وغيرها من ممتلكاتها التي نحلها إياها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو كانت ميراثها منه.

وكان الهدف من هذه الخطوة عدة أمور:

١ـ محاصرة أمير المؤمنين عليه السلام اقتصادياً إذ أنّ أي تحرك سياسياً كان أو اجتماعياً أو إعلامياً لابد لنجاحه من بذل أموال تتناسب وحجمه. وأضخم المشاريع مشروع السيطرة على الحكم وهو بحاجة إلى بذل أموال طائلة تُؤمن بها نفقات المشتركين في الصراع السياسي الذي ينتهي في أغلب الأحيان إلى صراع عسكري دامٍ.

فمصادرة تلك الأموال تعني تحجيم تحرك أمير المؤمنين عليه السلام العسكري

والسياسي والإعلامي ضد السلطة القائمة.

٢ ـ جر أمير المؤمنين عليه السلام إلى حلبة الصراع مع كون الظرف ليس في صالحه.

علم أمير المؤمنين عليه السلام بمصادرة السلطة لأموال الزهراء عليها السلام وبَلّغها ذلك ولم يخف عليها ما تهدف إليه السلطة الظالمة من هذه الخطوة. فلتفويت الفرصة على السلطة الحاكمة ولكون الزهراء عليها السلام صاحبة الأموال المصادرة قررت عليها السلام خوض حلبة الصراع السياسي وكانت الشيعي الأول الذي تصدى للدفاع عن حق أمير المؤمنين عليه السلام في الحكم وأوّل من وقف بقوة في وجه السلطة القرشية[1].

الزهراء عليها السلام تتحدى

خرجت الزهراء عليها السلام من دارها تحوطها نساؤها ودخلت المسجد النبوي وأُنيطت دونها ملاءة وجرى السجال على أشده بين السيدة الزهراءعليها السلام وأبي بكر ولم تجعل الزهراء عليها السلام محور الصراع الدائر قضائياً، لأن أبا بكر خصم الزهراء عليها السلام والخصم لا يصلح أنْ يكون قاضياً، ولأن أساس القضية الصراع السياسي لا الحق

١ . شرح أصول الكافي ج ٧ص ٢١٧، ٤٠٥، - المسترشد ص ٥٠٧، - السقيفة وفدك ص ١٠٧، ١١٠، - حديث نحن معاشر الأنبياء- الشيخ المفيد، التعجب ص ٥٦، - الطرائف- السيد ابن طاووس الحسني ص ٢٥٨ ح٣٥٧، فدك في التاريخ ص ١٥٢، السنن الكبرى ج ٦ ص٢٩٨، ٣٠٠، ج ٧ص ٦٤، - تحفة الأحوذي ج ٥ص ١٩٢، عون المعبود ج ٨ص ٢٣٢، مسند ابن راهويه ج ٢ص ٣٤١ صحيح ابن حبان ج ١١ص ١٥٢، شرح نهج البلاغة ج ٦ ص٤٦، شرح نهج البلاغة ج ١٦ص ٢١٧، نصب الراية ج ٢ص ٣٦٠، كنز العمال ج ٥ ص٦٢٢ح ١٤٠٩٧، كنز العمال ج ٥ص ٦٣٦ ح١٤١٢٠، كنز العمال ج ٥ص ٦٣٧ح ١٤١٢١، تفسير القمي ج ٢ص ١٥٥، التبيان ج ٦ ص ٤٦٨، فقه القرآن ج ١ص ٢٤٧.

المالي وإن كان ثابتاً لها عليها السلام ولكن كان مفتاح الصراع المطالبة بحقوقها المالية.

ضَمنت الزهراء عليها السلام حديثها الإشادة بأمير المؤمنين عليه السلام وخصائصه السامية وسلبيات العرب قبل الإسلام وعرضت بخصومها الذين غصبوا الحق من أهله، وأشارت إلى مؤامراتهم التي حاولوا فيها القضاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام.

حاول أبو بكر السيطرة على مسار الأحداث لئلا تستطيع الزهراء عليها السلام كسب الأنصار إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام فأدار دفة الصراع إلى فدك وادعى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال إنّ الأنبياء لا يورثون، فكذبته الزهراء عليها السلام وحاولت العودة إلى الصراع السياسي بينما كان أبو بكر يبذل قصارى جهده لمنع الزهراء عليها السلام من السير قدماً في تأكيدها انحصار حق تولي الحكم بأمير المؤمنين عليه السلام واستمر السجال طويلاً ولم تلحظ الزهراء عليها السلام استجابة من الحاضرين تؤيد مطاليبها، بل وصل التهديد إلى مسامعها الشريفة، حيث صرح أبو بكر بعد أن رأى أنّه لم يبق في كنانته سهم أنّه لم يقم بمصادرة الأموال والتصدي للحكم برأيه فقط بل كان ذلك ما أجمع عليه الحاضرون في المسجد، ولم تسمع الزهراء عليهاالسلام منهم إنكاراً لدعواه، وحاولت بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوقوف إلى جنب الزهراء عليها السلام فتصدت لهن عائشة بقوة مؤيدة مدعيات أبيها[1].

---

١ . معاني الأخبار ص ٣٥٤ باب معاني قول فاطمة عليها السلام لنساء المهاجرين والانصار في علتها ح ١، السقيفة وفدك ص ١٢٠، الاحتجاج -ج ١ ص ١٣١، ١٤٧، الصراط المستقيم ج١ ص ١٧١، بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٥٨، فدك في التاريخ ص ٦٥، مواقف الشيعة ج ١ ص ٤٨٨، المناظرات في الإمامة ص ٥١، شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج ٦١ ص٢٣٢، كشف الغمة ج ٢ ص ١١٤.

عادت الزهراء عليها السلام بعد الجولة الأولى من الصراع، واستعدت للجولة التالية، إلاّ أنّ القوم بدأوا المرحلة الثانية من مراحل خطة إلجاء أمير المؤمنين عليه السلام لمبايعة أبي بكر، حيث قاد عمر فصيلاً من القرشيين ومن في فلكهم وهدد باقتحام الدار ومهاجمة من فيها إنْ لم يغادرها المعتصمون من بني هاشم ومن لاذ بهم.

وخشى المعتصمون أنْ تنتهك بسببهم حرمة دار الزهراء عليها السلام فاضطروا للخروج، وكان من بين المعتصمين الزبير الذي جرّد سيفه للهجوم على القرشيين إلاّ أنهم ضربوه بحجر على ظهره فوقع بسبب الضربة على وجهه وندر السيف من يده فأخذه القوم وأجبروه على مبايعة أبي بكر.

أمير المؤمنين عليه السلام في المواجهة

أصبح مسير الأحداث بعد الهجوم على دار الزهراء عليها السلام يزداد خطورة لذا قرر أمير المؤمنين عليه السلام القيام بالتحرك المضاد، وكانت الخطوة الأولى تقتضي تعبئة المؤيدين للقيام بعد ذلك بالعمل العسكري، فكان عليه السلام في سبيل تحقيق هذه الخطوة يحمل الزهراء والحسنين عليهم السلام ليلاً إلى مجالس المهاجرين والأنصار يدعوهم إلى نصرته، إلا أنه لم يستجب لندائهم إلاّ عدد قليل جداً وهؤلاء إنْ وفوا بوعدهم فعددهم كافٍ لإعلان الثورة المسلحة.

وللاطمئنان من صدقهم طلب منهم أمير المؤمنين عليه السلام أنْ يغدو إليه محلقي الرؤوس عند أحجار الزيت لإعلان الثورة فلم يأته سوى الأركان الأربعة أبو ذر والمقداد وعمار وسلمان رضوان الله عليهم ورأى عليه السلام أنّ هذا العدد غير كاف للقيام بالثورة فعاد إلى داره.

على الرغم من عدم استجابة الأمة لأمير المؤمنين والزهراء والحسنين صلوات الله

عليهم إلاّ أنّ حركتهم تلك أسهمت إسهاماً كبيراً في بث الروح من جديد في وجدان الأمة الذي كادت أنْ تميته بيعة السقيفة وكان ذلك الأثر واضحاً بين الأنصار.

وتتميماً لدور الزهراء عليها السلام في خوض غمار الصراع السياسي حضرت إلى المسجد النبوي مرة أخرى وألقت على مسامع الناس خطاباً دعتهم فيه إلى العودة إلى جادة الصواب ووضع الأمور في مواضعها ثم عادت أدراجها إلى بيتها،وفي هذه المرة أخذ الأنصار يهمهمون، ولم يخف على أبي بكر سر هذه الهمهمة إذ إنّ شركاءه كانوا قد نقلوا إليه النشاط التعبوي الذي يقوم به أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً، فما إنْ عادت الزهراء عليها السلام ادراجها حتى قام أبو بكر خطيباً منددا بالأنصار ومهدداً إياهم ومعرّضاً بالزهراء وأمير المؤمنين عليهما السلام.

ولم يكتف بذلك بل ضَمن خطابه شراء الذمم بالأموال وهدد من لم يستجب بقطع عطائه من بيت المال وأثبت ذلك عملياً حيث أمر الجالسين بالذهاب لاستلام عطيائهم، وفي أثناء خطابه اعترضت السيدة أم سلمة رضوان الله عليها[1] على تعريض أبي بكر بالزهراء عليها السلام فأمر أبو بكر بقطع عطائها من بيت المال سنة كاملة.

الهجوم الثاني على دار فاطمة عليها السلام

أحس القوم أنّ أمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام أصبحا يشكلان تهديداً جدياً للحكم القائم وبدت آثار نشاطهما التعبوي تلوح في الأفق، إذ هذه الاستجابة الضعيفة من الأنصار والتفاني العظيم من خيار الصحابة لن يمر عليه زمن طويل حتى

١ ـ دلائل الإمامة ص ١٢٢، السقيفة وفدك ص ١٠٤، بحار الأنوار ج ٩٢ص ٣٢٦، فدك في التاريخ ص ٦٧، ١١٧، مواقف الشيعة ج ١ص ٤٧٦، شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد ج١٦ ص ٢١٤، اللمعة البيضاء ص ٧٤٤.

تكون إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام قوة عسكرية يتمكن بها من الإطاحة بالنظام القائم، فعقدت قيادات السلطة اجتماعاً بحثوا فيه كيفية التعامل مع معطيات الأحداث الجديدة وقرروا القيام بإجرائين سريعين:

١ ـ الهجوم على دار أمير المؤمنين عليه السلام وإجباره على البيعة وقتله إن لم يستجب.

٢ ـ انفاذ بعث أسامة وإجبار من يشك في أن له ميلاً لأمير المؤمنين عليه السلام من الأنصار في هذا البعث لتفريغ المدينة منهم.

ونفذت السلطة الخطة وأرسلوا قنفذاً يدعو أمير المؤمنين عليه السلام للبيعة فرفض الاستجابة لهم وتكررذلك ثلاث مرات.

فحمل عمر الحطب وأخذ معه قوة عسكرية كبيرة وأحرق باب دار الزهراء عليها السلام فوقفت عليها السلام وراء الباب تحرج عليهم الدخول عنوة إلى الدار التي لم يكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يدخلها إلاّ مستأذناً.

ولم يعبأ المهاجمون بوجود الزهراء صلوات الله عليها خلف الباب بل دفع عمر الباب وعصرها خلف الباب وضغط الباب بقوة حتى تكسرت أضلاعها وأنّتْ عليها السلام لشدة الألم وأسقطت جنينها فوقعت إلى الأرض مغشياً عليها.

وسمع أمير المؤمنين عليه السلام أنينها فثار إلى سيفه في الوقت الذي اقتحم المهاجمون دار فاطمة عليها السلام وكاثروا أمير المؤمنين عليه السلام وسارعوا إلى سيفه لئلا يقع في يده واقتادوه يجرونه إلى الخارج وهو يمتنع عليهم وتكاثروا عليه وجروه حتى أخرجوه من داره عنوة.

أمير المؤمنين عليه السلام في المسجد النبوي

وفي المسجد النبوي جرت مجادلات كثيرة بين أمير المؤمنين عليه السلام وأبي بكر، ووقف إلى جنب أبي بكر عمر وأبو عبيدة في محاولة منهم لدعم حجة أبي بكر، ولكنهم عجزوا عن إقامة الحجة على أمير المؤمنين عليه السلام بل عجزوا عن مقاومة حجته بالحجة فهددوه بالقتل إنْ لم يبايع فلم يبايع عليه السلام.

وكان القوم يحاولون إكراه أمير المؤمنين عليه السلام على البيعة وهو يرفض وبدأوا يهيئون الأجواء لقتله وفي هذه الأثناء أفاقت السيدة فاطمة عليها السلام من غشيتها وسألت عن أمير المؤمنين عليه السلام فأخبروها الخبر وكانت عليها السلام تدرك أهداف اقتياد أمير المؤمنين عليه السلام فخرجت من دارها وهي تتجرع الآم الإسقاط وكسر الضلع لمنع القوم من الوصول إلى مآربهم.

فرآها أحد زعامات التحرك القرشي وعرف أنها إن وصلت إلى قرب أمير المؤمنين عليه السلام فإنهم لن يستطيعوا الوصول إلى غايتهم فنهض إليها وأمرها بالرجوع إلى دارها فأبت فرفع يده وصفع وجهها الطاهر صفعة تناثر لها قرطها واحمرت لها عينها وبقيت محمرة العين حتى وفاتها وكرر أمره لها بالرجوع فأبت فأمر قنفذاً والأوباش بإرجاعها عنوة وتسارع إليها الأوغاد يضربونها بما نالته أيدهم فبعض بنعل سيفه وبعض بالسوط وهي تتجرع الألم وتمضي إلى الأمام لمنع القوم من الوصول إلى ما يريدون من أمير المؤمنين عليه السلام وكانت الأحداث تجري على مرأى من أبي بكر الذي شاهد تحركاً استنكارياً عنيفاً بين الأنصار، فخشي انقلاب الأمر عليه فأصدر أمره بالكف عن أمير المؤمنين عليه السلام وقال إنّه ما دامت الزهراء عليها السلام إلى جنبه فإنّه لا يكرهه على ما لا يريد، وفي الحقيقة لم يكن ذلك إلاّ تسكيناً لثورة الأنصار وخوفاً من انقلاب الأمر عليه وإلا فإن

الزهراء عليها السلام كانت إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام منذ اللحظة الأولى[1].

وعاد أهل البيت النبوي صلوات الله عليهم إلى دارهم بعد أنْ يأس المتآمرون من الوصول إلى ما يريدونه منهم، وبعد أنْ تجرّعوا من الآلام ما عرضوا به أبدانهم الطاهرة إلى ألوان العذاب حفاظاً على شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم من أن تتلاعب بها أيادي أوباش العرب[2].

الشيعة في مواجهة السلطة

بعد إن انتهت الأحداث المأساوية رجع أمير المؤمنين عليه السلام إلى بيته واعتزل الناس وشرع فيما بدأ به من جمع القران الكريم تنفيذاً لوصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودامت مدّة الجمع ستة اشهر.

وفي هذه المدّة قرر جمع من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام الوقوف بوجه السلطة

١ـ الأمالي- الشيخ الصدوق ص ١٧٤ ح١٧٨ / ٢، الهداية الكبرى ص ٤٠٧، الطرائف ص٢٣٨، بحار الأنوار ج١٩ص ٣٥١، ج ٢٨ص ٢٨، ٣٢٣، ٤٠٩، ج ٣٠ص ١٣٦، ج ٣١ ص ٥٩، ص٦٢٠ ح١٠١، ج٣٤ ص١٧٢ ح١٣، المصنف - ابن أبي شيبة الكوفي ج٨ ص٥٧٢، شرح نهج البلاغة ج٢ ص٤٧، ج١٤ ص١٩٣، كنز العمال ج٥ ص١٨٩،٦٥١، تاريخ الطبري ج٢ ص٤٤٣.

٢ . أغلب مصادر العامة أشارت إلى الهجوم الأول على دار فاطمة عليها السلام الذي نشأ عنه خروج المعتصمين من دار الزهراء عليها السلام وقليل من المصادر العامة ذكرت الهجوم الثاني الذي أخرج فيه أمير المؤمنين عليه السلام ملبباً بحمائل سيفه، أما المصادر الشيعية فإنها ذكرت كلا الهجومين ولكن لم تشر تلك المصادر إلى وقوع هجوم واحد أو اثنين إلا أنّ سير الأحداث يجعل احتمال كون الهجوم على مرحلتين قوياً جداً.

الأركان الأربعة سلمان وأبو ذر وعمار والمقداد وانضم إليهم من الشيعة خالد بن سعيد بن العاص الأموي وبريدة الأسلمي وسهل وعثمان ابنا حنيف الأنصاريان وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبي بن كعب وأبو الهيثم بن التيهان وأبو أيوب الأنصاري رضوان الله عليهم وكان بلال الحبشي رضوان الله عليه ـ مؤذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ ممن امتنع عن بيعة أبي بكر وفاءً لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام التي في عنقه، وترك المدينة بعد ما جرى على بيت فاطمة عليها السلام والتحق بالشام حتى وافاه الأجل هناك.

وجرت مشادات بين السلطة وأتباعها من جهة وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام من جهة أخرى، وأفاق الأنصار من غفلتهم وعلموا بسوء ما جَرَّت أيديهم في السقيفة فأخذهم تأنيب الضمير وبدأوا بالعودة إلى أمير المؤمنين عليه السلام وخشي رجال السلطة إنْ استمر حال الأنصار على ما هو عليه أنْ تكون إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام قوة عسكرية من شأنها أنْ تغير موازين الصراع هذا بالإضافة إلى الخطر الذي يشكله مالك بن نويرة رضوان الله عليه خارج المدينة الذي من الممكن أنْ يلتحق بأمير المؤمنين عليه السلام في أيّ لحظة يدعوه فيها، فقرروا إخراج الأنصار من المدينة لحين استتباب الأمور، فأصدرت الأوامر إلى أسامة بن زيد أن يسير بالبعث الذي أمره به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأرسل في البعث كل الشخصيات التي من الممكن أن تقف إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام اوتكون مؤثرة في كسب المسلمين إلى جنبه، وبهذه الطريقة افرغت المدينة من الشخصيات التي من المحتمل أن تقف إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام بينما كانت أسلم ما تزال تحتل المدينة المنورة بالإضافة إلى المتخلفين عن بعث أسامة الذين عصوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أخريات أيامه عليه السلام.

ب. التحديات خارج المدينة

كانت التحديات الداخلية لدولة أبي بكر خارج المدينة تتمثل في القبائل المرتدة وبني يربوع. وكان على أبي بكر أن يعمل عملاً سريعاً للقضاء على الحركتين لمنع انقضاضهما على سلطانه، فانتدب لذلك خالد بن الوليد وأوصاه بالقضاء على مالك بن نويرة رضوان الله عليه، أمّا الآخرون فإن رضوا حكم أبي بكر فهو وإلاّ فعليه إبادهم، وعلى العكس من أبي بكر الذي كان يرى ضرورة الإسراع في القضاء على المخالفين لحكمه خشية قوة شوكتهم أو توحد كلمتهم ضد ملكه، كان عمر يفضل كسب القبائل ويخشى إن خرجت القوات العسكرية من المدينة انقضاض أمير المؤمنين عليه السلام عليهم.

كان خالد بن الوليد يرى رأي أبي بكر فاستجاب لما ندبه إليه وأسرع في مهاجمة القبائل ومداهمتها والقضاء على المخالفين لحكم أبي بكر.

وكان أبو بكر يحدس حنكة مالك واحتياطه فأمر علناً توقف الجيش عن تركيع القبائل إذا فرغ من البزاخة حتى يصل أمره اليهم، بينما أوصى خالد سراً بالقضاء على مالك متى ما سنحت الفرصة.

كان مالك بن نويرة رضوان الله عليه يتوقع مهاجمة قوات السلطة المركزية بعد أنْ رفض الخضوع لها وأصرّ على الوفاء لأمير المؤمنين عليه السلام، لذا كان هو وقومه على أهبة الاستعداد فكانوا يحملون سلاحهم معهم ليلاً ونهاراً، ولما فرغ خالد من هوازن أراد التوجه إلى بني يربوع فرفض من في الجيش من الأنصار السير معه،لأن القوم ليسوا بأهل ردة كما أنّ أبا بكر أمرهم علناً بالتوقف عند هوازن، ترك خالد الأنصار وأخذ من معه من الأعراب وقريش وداهم بني يربوع ليلاً فوجد القوم قد أخذوا السلاح وهم على استعداد لخوض الحرب فخشي أن تدور عليهم الدوائر فغير خطة الهجوم.

ولما وصلت قوات خالد بيوت بني يربوع سأل بنو يربوع المهاجمين من هم فقالوا نحن المسلمون فقال بنو يربوع ونحن مسلمون.

وسأل المهاجمون عن العلة التي ثار لأجلها القوم إلى سيوفهم فأخبروهم إنّ ذاك كان بسبب مداهمتهم إياهم في الليل ونزل القوم أضيافاً على بني يربوع وأحسن بنو يربوع ضيافتهم واتفق خالد مع أصحابه إنّه إنْ نادى ادفئوا أضيافكم فعلى كل واحد من أجلاف الجيش أنْ يقتل مضيفه، وكان السبب في اختيار هذا النداء كون الهواء شديد البرد فلا يلتفت بنو يربوع إلى ما يريده بهم ضيوفهم الأوفياء لكرم الضيافة.

وهكذا استشهد مالك بن نويرة رضوان الله عليه غيلة وغدراً، وبعد شهادته نزا خالد بن الوليد على زوجته التي لم يدخل بها بعد اذ كانت شهادة مالك في ليلة زفافه ولم يكتف خالد بتلك الوحشية الخارجة حتى جعل رؤوس الشهداء أثاف للقدور.

وأوقدت النيران تحت القدور ثلاثة أيام إلاّ أنّ النار لم تصل إلى وجه مالك بن نويرة رضوان الله عليه ولما علم أبو قتادة الأنصاري بشهادة مالك وما ارتكبه خالد من الموبقات اقسم أنْ لا يقاتل في جيش اميره خالد، وعاد أدراجه إلى المدينة وأخبر أبا بكر بما يقوم به خالد من آثام، وفوجئ أبو قتادة بموقف أبي بكر الذي قابله بالغضب وأمره بالرجوع من فوره إلى بعث خالد، وأبو بكر يعلم أنّ ديمومة ملكه متوقف على منح خالد حصانة قضائية.

كان موقف أبي بكر وسكوته تجاه جرائم خالد بن الوليد باعثاً لاستغراب المسلمين واستنكارهم.

وعلم عمر أنّه إنْ ترك الأمر على ما هو عليه فإن الظرف سيصب في صالح خصومهم السياسيين لذا أزبد وأرعد وتوعد بإقامة الحد على خالد بن الوليد إنْعاد.

ولم يكن ما أزبد وأرعد به عمر إلاّ ذراً للرماد في العيون وأكبر دليل على ذلك أنّ خالداً لما عاد إلى المدينة ورآه عمر لم يفعل شيئاً مما توعد وهدد به خالداً بل سكت والتزم الصمت.

وأمّا المرتدون فالحديث عنهم خارج عن بحثنا، إلاّ أنهم كانوا يشكلون تهديداً سياسياً وعسكرياً للدولة فكان لابد من القضاء عليهم في أسرع وقت وهو ما نفذه الجيش الذي بعثه أبو بكر لقمع معارضيه مهما كانت انتماءاتهم[1].

التحول في الوضع الشيعي

ليس التشيع مذهباً سياسياً بحتاً ولا مذهباً خلقته الظروف المستجدة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل التشيع هو الإسلام الحقيقي الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي تبتني نظريته السياسية على كون القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة دستوراً للدولة.

---

١ ـ حول شهادة مالك رضوان الله عليه انظر: وسائل الشيعة ج ١ص ١٦، الإيضاح ص ١٣٣، المسترشد ص ٢٥٦، ص ٥١٣، التعجب ص ٤٠، الفضائل ص ٧٥، ص ٩٩، الصوارم المهرقة ص ٨٣، ص ١٣٧، بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٥٥، بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٤٤، المصنف ج ١٠ ص ١٧٤، الفائق في غريب الحديث ج ٣ ص ٦٥، شرح نهج البلاغة ج ١ص ١٧٩، ج ١٧ ص٢٠٢، كنز العمال ج ٥ ص ٦١٩، طرائف المقال ج ٢ص ١٠٦، تاريخ خليفة بن خياط ص٦٨، الثقات - ابن حبان ج ٢ص ١٦٩، تاريخ مدينة دمشق ج ١٦ص ٢٥٦، أسد الغابة ج٢ص ٩٥، ج ٤ص، سير أعلام النبلاء ج ١ص ٣٧٦، الإصابة ج ٢ص ٢١٨، ج ٥ ص ٥٦٠، معجم البلدان ج ١ص ٤٥٥، فتوح البلدان - البلاذري ج ١ص ١١٧، تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٣١، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٠١، البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٦٠، ج ٦ص ٣٥٤، تاريخ ابن خلدون ق٢ ج ٢ ص ٧٣، الاستغاثة ج ١ ص ٧، السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٩٤، النزاع والتخاصم ص ٨٥.

وأحد مفردات الدستور أن يكون المتولي لأمور السياسة معصوماً، أو مأذوناً له من المعصوم عليه السلام في قيادة الدولة وإدارة أمورها.

ولهذا كان الشيعة في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمثلون خط الدولة وأما بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبسبب تبني السلطة عزل الإمام المعصوم عن القيادة بجميع أشكالها السياسية والإجتماعية والفكرية أصبحوا يشكلون قوة من قوى المعارضة للسلطة الحاكمة.

وفي أوائل أيام حكومة أبي بكر كانت على الصعيد الداخلي قوتان مخالفتان للدولة، الأولى الذين دعوا إلى الاستقلال عن حكومة المدينة وهم المرتدون ومدعو النبوة، والثانية الشيعة الداعون إلى إقامة دولة دستورية دستورها القرآن وقائدها المعصوم عليه السلام.

أوضاع الشيعة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قررت الحكومة منع وصول أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته إلى أيّ مفصل من مفاصل الحكم وحاصروهم اقتصادياً وإعلامياً وأمنياً، بحيث كان أفراد السلطة يعارضون زيارة الناس لأهل البيت عليه السلام ويحاولون فرض العزلة الاجتماعية على آل البيت النبوي وأتباعهم ما أمكنهم إلى ذلك سبيلاً.

كان أبو بكرمنهمكاً في القضاء على التحركات السياسية والعسكرية التي كانت تشكل تهديداً خطيراً ومباشراً لحكمه ولذلك لم يهتم كثيراً بأمر التثقيف والتعليم خصوصاً وإنّ القبائل التي يريد إخضاعها كانت قد دخلت الإسلام في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكن الجهاز الحاكم يشعر بحاجة ملحة إلى بذل سعي كبير لبنائهم ثقافياً وفكرياً.

وأهم المخاطر التي كانت تواجه أبا بكر على الصعيد الفكري أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي أشاد فيها كثيراً بأمير المؤمنين عليه السلام وكان عند أبي بكر مجموعة مدونة من تلك الأحاديث وكان محتاراً في كيفية التعامل معها فهي من جهة تمثّل ثروة ثقافية عظيمة وستساعده في التصدي في المجال الفكري، ومن جهة أخرى إنّ التاكيد على أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصب في صالح أمير المؤمنين عليه السلام على المدى البعيد، فقام أبو بكر بعد ذلك بإتلاف خمسمائة رواية مكتوبة سمعت من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان قد حرم بفعله ذاك الأمة من الانتفاع بها خشية عودة الأمة إلى أمير المؤمنين عليه السلام لكن أبا بكر لم يجد الشجاعة الكافية لإصدار أمر عام قاض بإتلاف كل ما دوّن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأمّا الشيعة فهم أمام هذه الهجمة الشديدة عملوا ما بوسعهم في سبيل بث العلوم النبوية داخل المجتمع وشرعوا بتعليم أبنائهم ومواليهم ما يجعلهم في الغد جنوداً مؤثرين في إقامة الحق وإعادته إلى أهله.

وأمّا على الصعيد الاقتصادي فإن السلطة الحاكمة منعت أنصار أمير المؤمنين عليه السلام من الاشتراك في الفتوحات لتمنع حصولهم على الثروات المالية التي تعود الفتوحات بها على الجيش.

لذا توجه أمير المؤمنين عليه السلام والشيعة إلى استصلاح الأراضي وزرعها فتخلصوا من الحصار الاقتصادي المفروض عليهم.

وعلى الرغم من أنّ واردات الزراعة ليست ضخمة جداً إلاّ أنّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كانوا كثيري الصدقة مما مهد لاستقطاب الناس وكسبهم إلى صف أمير المؤمنين عليه السلام.

تطورات التصدي الشيعي

بعد إنْ انتهى الموقف في التصدي إلى ما وصل إليه من الهجوم على دار الزهراء عليها السلام وما رافقه من مآسٍ إسودّ لها وجه التاريخ كانت هناك عدة حوادث شكلت مفردات من حركة التصدي للسلطة القائمة، قام بأحدها الإمام الحسن عليه السلام وبالبقية السيدة فاطمة عليها السلام.

أمّا حركة الإمام الحسن عليه السلام فتمثلت بوقوفه في وجه أبي بكر وهو على المنبر وقال له أمام الأشهاد:

(انزل عن منبر ابي).

كان لكلمته عليه السلام وقع الصاعقة على أبي بكر إلاّ أنّ الأخير كان يعلم أنّ الوضع الذي تعيشه المدينة يقتضي التعامل بلين مع موقف الإمام الحسن عليه السلام فأظهر اللين والحب والعطف تجاه الإمام الحسن عليه السلام وغير في جوابه المراد من كلمة أبي عن معاناها العرفي ـ الذي يعلم أبو بكر أنه مراد الإمام الحسن عليه السلام ـ إلى معناها المصطلح على الحسنين عليهما السلام فأجابه (نعم، منبر أبيك لا منبر أبي) يريد أنه منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا منبر أبي قحافة.

أما المواقف الأُخَر فكانت للزهراء عليها السلام التي بلغ بها الحزن على فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مبلغه وأضيف إليه هضم الوصي حقه والإهانة والإذلال الذي جوبهت به عليها السلام وعدم رعاية حرمتها ولا حرمة بيتها، وكل ذلك قد جرى ولم يطل العهد برحيل أبيها، بل ما زالت ذكراه شاخصة في أنظار الجميع.

كانت عليها السلام تبكي أباها ليلاً ونهاراً وهي تعلم أنّه لم يبقَ لها من العمر إلاّ أياماً قلائل، وكان بكائها الشجي الذي وُصف بأن جدران المدينة كانت تحن لحنينها وتإن لأنينها بحيث عجز الرجال عن مزاولة أعمالهم والاستقرار في بيوتهم لأنّ بكاءها عليها السلام كان يهز أعماق القلوب ويكويها بنيران تأنيب الضمير مما جعل عواطف عامة المسلمين ترنو إلى آل البيت عليهم السلام بل وأصبحت الهمهة تسري داخل البيوت، فخشي رجال السلطة من مغبة الأمر فقرروا محاربة الزهراء عليها السلام في بكائها إذ أصبح يشكل إدانة واضحة لجميع أعمالهم.

فاجتمع زعامات السلطة القرشية وطلبوا مِنْ أمير المؤمنين عليه السلام أن يطلب من السيدة فاطمة عليها السلام الكف عن البكاء، لأنه يخل براحة أهل المدينة، وكان عليه السلام يعلم بما انطوت عليه أنفسهم ولكنه مع ذلك أبلغ الزهراء عليها السلام طلبهم فأبت إلاّ أنْ تستمر بالبكاء فأبلغهم عليه السلام أنّ الزهراء عليها السلام ترفض مطالبهم فقرروا الاستمرار في الضغوط على أمير المؤمنين عليه السلام لحين تحقيق ما يريدون وهو لا يستجيب لهم، ثم طلبوا منه أن يكون بكاؤها وقتاً دون وقت فأبلغها عليه السلام طلبهم، وأدركت عليها السلام مدى الضغوط التي تعرض لها أمير المؤمنين عليه السلام فطلبت منه أن تمضي النهار خارج المدينة تنعى أباها وتعود في الليل إلى بيتها، فأجابها عليه السلام إلى ذلك. فكانت تبكر مصطحبة الحسنين عليهماالسلام خارج المدينة تندب أباها مستظلة بأراكة هناك، ويعود بها أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً إلى بيتها.

كان وجودها عليها السلام خارج المدينة يشكل إدانة أخرى للحالة القائمة مما دفعهم لقطع الأراكة لتكون الزهراء عليها السلام تحت أشعة الشمس المحرقة عسى أن تكف عن بكائها، إلاّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام بنى لها داراً ـ عُرِفت بعد ذلك ببيت

الأحزان ـ كانت تمضي نهارها فيه مع الحسنين عليهم السلام ويعود بهم أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً إلى دارها.

وأسقط في أيدي القوم حيث لم يعودوا قادرين على فعل شيء تجاه الزهراء عليها السلام التي كان وجودها هناك يشكل إدانة أخرى لهم إذ كان بكاء الزهراء عليها السلام في جميع أدواره ـ بالإضافة إلى الصفة القدسية التي يحملها ـ يسجل إدانة للقوم عبر التاريخ و كر العصور.

والحادث الآخر الذي كان يشكل مفردة من مفردات التصدي للسلطة خطبة الزهراء عليها السلام في نساء المهاجرين والأنصار عندما عدنها أيام مرضها الذي توفيت فيه وفيها نددت الزهراء عليها السلام بالمتآمرين والساكتين عن الحق والقاعدين عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام.

وقامت النساء بنقل خطبة الزهراء عليها السلام إلى أزواجهن بحيث أضحى حديث الساعة في المدينة، والحادثة الثالثة تفويتها الفرصة على أبي بكر وعمر حيث أنهما كانا يقرآن في وجوه القوم التنديد بهما بسبب موقفهما من الزهراء عليها السلام التي روت الأمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الله تعالى يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، فأرادا زيارتها في بيتها والاعتذار منها عما بدر من تجاوزات لحقها.

وكانت غايتهما من ذلك كسب الأصوات إلى جانبهما وإخراس الألسن وكم الأفواه التي تعرض بهما ليلاً ونهاراً بسبب اغضابهما لبضعة المصطفى عليه السلام فطلبا من أمير المؤمنين عليه السلام أنْ يستإذن لهما عليها، فأخبرها عليه السلام بطلبهما فأذنت لهما، فلما دخلا أشاحت بوجهها إلى الحائط فقدم الرجلان اعتذارهما وطلبا منها الصفح والعفو عما ارتكباه في حقها.

طلبت منهما الزهراء عليها السلام أنْ يصدقاها الحديث لتستبين صحة

دعواهما في طلب الصفح فأجاباها إلى ذلك فسألتهما عن قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني)[(١)].

فأجابا بأنهما سمعاه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرفعت يديها الشريفتين إلى السماء وقالت:

(اللهم إنهما قد آذياني فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك، لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبي رسول الله وأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما).

فخرج الرجلان ولم يتحقق لهما ما أرادا، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل لما دنت الوفاة من الزهراءعليها السلام أوصت أمير المؤمنين عليه السلام أن يدفنها سراً ولا يُعلم الذين ظلموها واشتركوا في ظلمها بوفاتها ولا يسمح لهم أنْ يصلّوا عليها أو يقفوا على قبرها فأجابها عليه السلام إلى كل ذلك فدفنها سراً وعفى موضع قبرها فلم يُعلم موضع قبرها بعد ذلك إلاّ الخواص ممن اشترك في دفنها عليها السلام.

---

١ ـ من لايحضره الفقيه ج ٤ ص ١٢٤، الأمالي- الشيخ الصدوق ص ١٦٥، ١٧٥، ٥٧٥، كفاية الأثر- الخزاز القمي ص ٣٧، ٦٤، ٦٥، التعجب ص ٥٥،، فضائل الصحابة- الإمام أحمد بن حنبل ص ٧٨، شرح مسلم - النووي ج ١٦ ص ٢، فتح الباري - ابن حجر ج ٧ ص ٦٣، المصنف - عبد الرزاق الصنعاني ج ٧ ص ٣٠١ح ١٣٢٦٨، ح ١٣٢٦٩، المصنف . الكوفي ج ٧ ص ٥٢٦ ح ٣٣، ص ٥٢٧ح٦، الآحاد والمثاني-الضحاك ج ٥ ص ٣٦١ ح، ص ٣٦٢ ح٢٩٥٧، تثبيت الإمامة- الهادي يحيى ابن الحسين ص ٢٨، السنن الكبرى - النسائي ج ٥ ص ٩٧ ح٨٣٧٠، ص ١٤٧ح ٨٥١٨، ح ٨٥١٩، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام- النسائي ص١٢٠.

أدركت السلطة الغاية التي من أجلها لم يخبروا بوفاة الزهراء عليها السلام ولم يؤذنوا بها للاشتراك في الصلاة عليها وتشييعها ودفنها والوقوف على قبرها وبدا واضحاً لهم الغاية من إعفاء قبرها فقرروا نبش كل قبر جديد لإخراج الجثمان الطاهر والصلاة عليه وإظهار موضع القبر، وعلم أمير المؤمنين عليه السلام بنواياهم فلبس سلاحه واستعد لخوض الحرب إنْ تجرأ القوم على مس ذرة من تراب القبور التي أُحدثت في تلك الليلة وجادله القوم فأغلضوا له واغلض لهم ووقف بنو هاشم والأنصار إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام وعلم القوم أنهم إنْ تجرأوا وقعت الحرب فعادوا أدراجهم وقد فشلوا في تحقيق ما أرادوا.

وبهذا سجلت الزهراء عليها السلام موقفاً واضحاً من السلطة الحاكمة، ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك في أمته إلاّ بنتاً واحدة ولم تقم بينهم الا مدّة قصيرة وكان المفروض على أقل التقادير رعاية حق أبيها عليه السلام الذي أخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد فضلاً عما لها في ذاتها من كمال فكيف وهي سيدة نساء العالمين التي رضاها وغضبها دليلاً على رضا الرب وغضبه، فكان المفروض أنْ تُحْمل في آماق العيون وجنبات القلوب، إلاّ أنها ظلمت وقهرت وأذلت ولم ترع حرمتها ولا حرمة بيتها، وهكذا سجلت الزهراء عليها السلام للتاريخ موقفها الخالد من مجريات الأحداث في تلك المدّة العصيبة على أهل البيت عليهم السلام.

وبعد شهادة الزهراء عليها السلام ويأس القوم من اعتراف أمير المؤمنين عليه السلام بشرعية سلطتهم، فكر القوم بتصفية أمير المؤمنين عليه السلام جسدياً وكلف أحد شخصيات بني مخزوم باغتيال أمير المؤمنين عليه السلام في باحة المسجد النبوي بعد الفراغ من تسليم صلاة الصبح.

علمت السيدة أسماء بنت عميس رضوان الله عليها بتفاصيل المؤامرة فأرسلت

أمتها إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام وأمرها أن تتلو قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾.

فعلم أمير المؤمنين عليه السلام مغزى الرسالة.

وفي صبيحة اليوم الذي كان من المقرر اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام فيه تردد صاحب القرار كثيراً وخشي عاقبة الأمر خاصة وإنّ عملية الاغتيال ستقع أمام أنظار الجميع فأحجم وفكر كثيراً ولم ينطق بتسليم الصلاة مدّة طويلة أثارت استغراب المصلين، ثم قال قبل أن يسلم (لا يفعلن..... ما أمرته به)، وهنا فضح أمير المؤمنين عليه السلام سر المؤامرة وأمسك بالرجل المخزومي حتى أحدث على نفسه.

وبعد أنْ علم بنو هاشم بالمؤامرة جاء العباس ومعه باقي الهاشميين والزبير وقد اخترطوا سيوفهم وهددوا القوم انهم لن يسكتوا أنْ أُصيب أمير المؤمنين عليه السلام بسوء مما أربك موقف السلطة الحاكمة وأجبرها على التراجع عن التفكير في تصفيته عليه السلام بهذه الطريقة مرة أُخرى[1].

١ ـ الأصول الستة عشر ص ١٨، علل الشرائع ج ١ص ١٩١، خاتمة المستدرك ج ١ص ١٢٢، الإيضاح ص ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، المسترشد ص ٤٥١ ح١٤٧، ص ٤٥٣، ٤٥٥، الاحتجاج ج١ ص ١١٨، ١٢٧، كتاب الأربعين- محمد طاهر القمي الشيرازي ص ٥٢٨، بحار الأنوار ج٢٨ ص ٣٠٥، كتاب الأربعين- الشيخ الماحوزي ص ٢٦٧، ج ٤ص ١٨٨، مواقف الشيعة ج٢ ص٣٠٠، السقيفة أم الفتن ص ٦٠، تفسير القمي ج ٢ص ١٥٩، اختيار معرفة الرجال ج٢ ص ٦٩٥، معجم رجال الحديث ج ٩ص ١٦٠، الاستغاثة - أبو القاسم الكوفي ج١ ص١٥، ج٢ ص ٧٨.

الفصل الثالث

الشيعة في عهد عمر بن الخطاب

بعد تولي أبي بكر الحكم واستتباب الأمر له، بعث الجيوش إلى الشام والعراق في محاولة منه لتوسيع رقعة الدولة، وكانت الغزوات ناجحة بسبب القوة البشرية والقتالية الجيدة والنظام العسكري الممتاز الذي أضافه النظام الإسلامي إلى حياة العرب الذين كانوا يتمتعون بصفات قتالية وبسالة عاليتين في الوقت الذي كانت الإمبراطوريتان الرومية والفارسية تعيشان حالة متدهورة بسبب الصراعات الداخلية والحروب الخارجية.

لم ترغب القوى العاملة في الخفاء ببقاء أبي بكر لمدّة طويلة في الحكم فقرروا القضاء عليه، وليس من البعيد قيامهم بعدة محاولات لتحقيق هذه الغاية.

كان أبو بكر يتوقع محاولتهم ذلك لذا كان محتاطاً جداً وكان أشد ما يخشاه دس السم، ولشدة حيطته كان على مائدته دوماً طبيبه الخلص الحارث بن كلدة الذي كان يتمتع بخبرة عالية في مجال السموم إلاّ أنّ احتياطه ذاك لم ينفع في دفع غائلة القوم حيث تمكنوا من دس سم بطئ المفعول إليه فسم هو وطبيبه معاً، وأخبر الطبيب أبا بكر أنّه قد دُسّ إليهما سم بطئ المفعول يقتل في مدة سنة.



اعتراض القرشيين على تنصيب عمر

ينص المؤرخون أنّ العديد من الشخصيات القرشية وعلى رأسهم عبد الرحمن بن عوف كان يعترض على أبي بكر بعد أنْ علم أنّه يريد أن يوصي بالخلافة من بعده لعمر وتوالت الاعتراضات من شخصيات قرشية عديدة لمنع أبي بكر من الايصاء من بعده لعمر إلاّ أنّ أبا بكر لم يستجب لهم وفي أخريات أيام أبي بكر وبالاتفاق مع عثمان بن عفان الذي كتب وصية أبي بكر بيده عين في وصيته عمر بن الخطاب حاكماً من بعده.

استمر الموقف المعارض للشيعة وزعيمهم الأول أمير المؤمنين عليه السلام على حكم أبي بكر ورفض بيعته حتى موته، كان للشيعة موقف مماثل أيام عمر ففي آخر لحظات أبي بكر خرج عمر على الناس بكتاب مختوم وأخبرهم أنّ فيه وصية أبي بكر وهو يريد منهم أنْ يقسموا على الوفاء بما في الكتاب، في محاولة لاستدرار عواطف الناس التي تجيش في مثل هذه الأوقات مما يجعل مواقفهم عاطفية أكثر مما هي موضوعية، فسأله أحدهم ـ وهو أمير المؤمنين عليه السلام أو أحد شيعته ـ عن مضمون الكتاب فادّعى عمر عدم علمه بما في الكتاب فأجابه السائل أنّ الذي في الكتاب عهد أبي بكر بالخلافة إليه، وبهذه الصورة سلب القرشيون إرادة الأمة ـ إن كان للأمة الحق في تعيين الإمام ـ مرتين الأولى في سقيفة بني ساعدة وما جرى بعدها من أحداث والثانية عندما عين أبو بكر عمر حاكماً للدولة من بعده بغير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم به[1].

---

١ ـ علل الشرائع ج ١ص ١٥١، معاني الأخبار ص ٣٦١، الإيضاح ص ٥١٨، الفصول المختارة ص٢٤٧، الإرشاد المفيد ج ١ ص ٢٨٨، التعجب ص ٣٥، - الأمالي- الشيخ الطوسي ص٣٧٢ ح ٣-٨ / ٥٤، الاحتجاج ج ١ ص ٢٨٤، مناقب آل أبي طالب ج ٢ص ٤٨، الطرائف ص ٤١٨، حلية الأبرار ج ٢ص ٢٩٠، بحار الأنوار ج ٢٨ص ٣٧٤، بحار الأنوار ج٢٩ ص ٤٩٨، ٥١٩، ج٣٠ص ٥٠٤، ٥١٩، ٥٦٨، المعيار والموازنة ص ٤٦، شرح نهج البلاغة ج ١ص ١٦٥، ج٢٠ ←

كان على عمر أنْ يقوم بعدة أعمال للسيطرة على الأوضاع داخل المدينة عشية وفاة أبي بكر، فكان عمر يعلم أنّ أبا بكر مات بالسم الذي دسه المتآمرون واكتشاف موت أبي بكر بالسم من شأنه أن يربك الوضع في المدينة فقرر دفنه ليلاً بصورة سرية ولم يحضر موارته سوى أقل عدد من أهل بيته.

ولكن خبر وفاة أبي بكر مسموماً لم يخف على بناته فكانت أم فروة تشير إلى ذلك في نياحتها على أبيها فعرف عمر ذلك فاستدعاها إلى خارج الدار وضربها بالدرة فلم تعد إلى ذلك خوفاً من عمر.

عمر في مواجهة التحديات

كانت هناك جملة من التحديات التي تواجه عمر بن الخطاب في حكمه الفتي فالجيش تتوالى على يديه الانتصارات والفتوحات وأكثرها كان في جبهة العراق التي يقود الجيش فيها خالد بن الوليد أحد فرسان قريش وشجعانها وأحد القادة الماهرين في التخطيط لإدارة المعارك، وعلى الرغم من كون خالد بن الوليد من بني مخزوم وهم خؤولة عمر إلاّ أنّ عمر كان لا يميل إليهم ولعل ذلك ناشئ من وضع نفسي خاص بسبب الفارق الطبقي بين بني مخزوم وبني عدي في الجاهلية، فبنو مخزوم من تجار مكة وفرسانها وذوي الرئاسة فيها، لذا لم يمض على توليه الحكم إلاّ مدّة قصيرة حتى وجه خالداً إلى الشام وبعد ذلك عزله عن قيادة الجند وعين بدله أبا عبيدة بن الجراح قائداً لجند الشام.

وللسيطرة على عواطف خالد وبني مخزوم نصبه أميراً على قنسرين، ولضمان جانب بني أمية وسع في سلطة معاوية بن أبي سفيان الذي تولى إمارة دمشق بعد وفاة

ص٢٤، الطبقات الكبرى ج٣ ص٢٠٠، تاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٤١، ج٤٤ ص٢٥٣، أسد الغابة ج٤ ص٦٩، تاريخ المدينة ج٢ ص٦٦٧، تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٢٧، تاريخ الطبري ج٢ ص٦١٧، تاريخ ابن خلدون ق٢ ج٢ ص٨٥، - الإمامة والسياسة ج١ ص٢٧.

أخيه يزيد بن أبي سفيان الذي عينه أبو بكر قائداً لجند الشام بعد أنْ منعه عمر من نصب خالد بن سعيد بن العاص الأموي أميراً على جند الشام؛ بسبب موقف الأخير من بيعة أبي بكر وتأييده لأمير المؤمنين عليه السلام.

طبيعة التحديات

على الصعيد الخارجي لم تكن هناك تهديدات واقعية تواجه دولة عمر لأن الانتصارات المتوالية تكشف عن القدرة العسكرية للجيش وضعف العدو مما كان يكسب الدولة الجديدة قوة عسكرية ومقاماً سياسياً شامخاً ويضيف إلى خزانة الدولة العائدات المالية الضخمة مما يؤثر ايجابياً في الوضع الاقتصادي العام.

والتحديات الحقيقية التي كانت تواجه عمر كانت على الصعيد الداخلي إذ هناك أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته وبنو هاشم الذين يشكلون اتجاهاً سياسياً ـ دينياً يعارض الحكم القائم ويستمد قوته من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبالإضافة إليهم العوائل القرشية التي أصبحت تطمع بالوصول إلى سدة الحكم بعد أنْ اصبحوا يرون بأمّ أعينهم عظمة الدولة وتوسع رقعتها وقدرتها السياسية والعسكرية والاقتصادية.

وكان لابد لعمر في سبيل السيطرة على الأوضاع من اتخاذ التدابير التي يُؤمَن معها حكمه من التعرض للخطر.

وأهمّ ما كان يواجه عمر على الصعيد العسكري الحاجة إلى القوات العسكرية، لأن القوات التي كانت في المدينة وما حولها لم تعد كافية لسد الحاجة العسكرية، خاصة بعد توسع جبهة القتال، وبعد مراكز تواجد المقاتلين الذين استقروا في الكوفة والبصرة والشام خاصة وإنّ عدداً كبيراً من قبائل اليمن انتقلت إلى الكوفة والبصرة، وكثير من أبنائها يدينون بالولاء لأمير المؤمنين عليه السلام.

وكان وجود شيعة أمير المؤمنين عليه السلام في هذين المصرين المهمين وفي هذه المواقع الحساسة يعني التغير الإيجابي في وضع الشيعة الاقتصادي وتطور قدرهم على العمل السياسي لذا كان عمر يحاول السيطرة على التحركات الفكرية والثقافية في هذه المناطق وحرمانها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإضعاف النشاط الشيعي فيها.

كان ذلك على الصعيد العسكري والسياسي، وأمّا على الصعيد الفكري والفقهي فإن المجتمع المسلم كان بحاجة كبيرة إلى تعلم أحكام الشريعة، وكان أمير المؤمنين عليه السلام بحراً لا ساحل له، وطبيعة الناس الميل للعالم للانتهال من علمه، إلاّ أنّ الخلاف الشديد بين أمير المؤمنين عليه السلام والسلطة كان يدعوهم إلى محاولة سد النقص بعيداً عن أمير المؤمنين عليه السلام وفي سبيل سد هذا النقص من جهة،ومن جهة أخرى وهي الأهم أنّ أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم تشيد كثيراً بأمير المؤمنين عليه السلام وتنص على أنّه الخليفة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذا أصدر عمر أمراً بمنع رواية الحديث النبوي وتدوينه ولم يسمح إلاّ بتلاوة القرآن الكريم مع المنع من التدبر في آياته[1].

نشأ عن منع رواية الحديث وتدوينه فراغ ثقافي كبير وكان عمر يحس بضرورة ملء هذا الفراغ بنحو لا يضر بسياسته الرامية إلى تجهيل الأمة بأهل البيت عليهم السلام فاستعان عمر بمسلمة أهل الكتاب الذين كلفهم برواية قصص العهدين، وأوكل تلك المهة إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه الذين كانا يقومان بملء الفراغ الفكري والثقافي الذي أوجده قرار المنع.

---

١ ــ معالم المدرستين ج ٢ص ٤٥، مكاتيب الرسول ج ١ص ٦١٨، ٦٣٩، كنز العمال ج ١٠ ص٢٩٢ح ٢٩٤٧٩، ص ٢٩٣ح٢٩٤٨٠، أضواء على السنة المحمدية ص ٥٤، تدوين القرآن ص ٣٧٠، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٠ص ٥٠٠.

هذا ما كان يجري في المدينة، ولخشية عمر من عدم امتثال أمره خارج المدينة فرض الإقامة الجبرية في المدينة على مريدي أمير المؤمنين عليه السلام ممن عاصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى رأس أولئك أبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وبريدة الأسلمي رضوان الله عليه ومن على شاكلتهم.

وأكثر الذين فرضت عليهم الإقامة الجبرية كانوا من الأنصار، لذا كان عماد جيوش الفتح قريش والأعراب والذين لم يعاصروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهؤلاء لن يتمكنوا من تزعم الحركة الفكرية في المجتمع الإسلامي لعدم إمكانية روايتهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولتأمين السيطرة على الأوضاع وسد الفراغ الفكري خارج المدينة أوكل كثيراً من المهام الإدارية إلى الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ممن كانوا مخالفين لأمير المؤمنين عليه السلام أو ليس لهم هوىً فيه كالمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وبشير بن سعد وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله.

وكان هؤلاء يقومون بالإضافة إلى الوظائف الأدارية الملقاة على عواتقهم بتوجيه الثقافة العامة على الأسس التي تتناسب وطرح الدولة واهدافها.

نشأ عن كثرة الفتوحات ازدياد في الموارد المالية للدولة وفي الوقت الذي كان منهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم التسوية في العطاء بين المسلمين إذ في المذهب الاقتصادي الإسلامي تكون الدولة مسؤولة عن الضمان المعيشي عن طريق توفير قدراً معيناً من حاجات الفرد لجميع المواطنين وما وراء ذلك يوفره الشخص نفسه.

وعلى هذا سار أبو بكر في العطاء ولعل عدم تغيير أبي بكر للمهنج في التوزيع يعود إلى ضعف الموارد المالية حيث أنّ سياسة عمر في تمييز العطاء لم يشرع بها إلاّ بعد

فتح العراق والتوغل في ممتلكات الدولة الرومية، ففي عهد عمر حصل توسع هائل في الإمكانيات المالية بسبب سقوط الكثير من المدن ذات الثروة المالية الكبيرة بأيدي المسلمين وبصورة خاصة بلاد العراق ذات الثروات الهائلة لخصوبة أرضها ووجود عاصمتي الأكاسرة والمناذرة فيها،هذا فضلاً عن بلاد الشام ومصر وغيرهما من البلدان.

كانت مسألة التسوية في العطاء تعني توفير فرصة للمعارضة السياسية للتحرك نحو الوصول إلى أهدافها وإسقاط الحكم القائم، لذا قرر عمر أنْ ينهج منهجاً اقتصادياً جديداً يؤثر في العامل السياسي، فقرر التمييز في العطاء فكانت قريش مقدمة على العرب، والعرب مقدمة على الموالي، وهكذا بدأ عمر بإعادة النعرة القبلية والقومية التي قضى عليها الإسلام الحنيف من جهة، ومن جهة أخرى ضمن رجحان كفة القرشيين على غيرهم، حيث كان القرشيون هم امراء الولايات ولهم عائداتها، وهم كذلك قادة الجيوش ولهم الغنائم الكثيرة التي ستحوزها سيوفهم في الفتوحات.

أمّا المعارضة السياسية المتمثلة بأمير المؤمنين عليه السلام وبني هاشم فلا يصلهم سوى العطاء الذين لا يُؤمن لهم سوى حياتهم الخاصة، وحتى الخمس الذي شرعه الله لهم في الكتاب العزيز رفض عمر أنْ يسلمه إليهم ولما طالبوه به اشترط عليهم أنْ يكون الخمس في يده يزوج عزابهم ويعطي محتاجهم وما يفضل من ذلك يبقى في يده، فرفض بنو هاشم هذا التدخل السافر في حقوقهم المالية فمنعهم عمر الخمس لأنه كان يخشى إن أعطاهم الخمس وهو ثروة هائلة فإنّ بني هاشم قد يسعون لإعادة الحكم إلى أمير المؤمنين عليه السلام واسقاط النظام الحاكم بسبب القدرة المالية التي سيوفرها لهم الخمس.

ففي الوقت الذي كانت هناك مصادر متعددة لتنامي ثروات القرشيين حيث العطاء الواسع وهبات الخليفة والغنائم وإمارة الولايات الغنية، ما كان يصل بنو هاشم

ومن والاهم من المسلمين سوى عطاءهم من بيت المال وهو مهما بلغ لن يكون كافياً في توفير حاجة التحرك السياسي، ولا عاملاً مساعداً على تثبيت الوضع السياسي وتشييد أركانه.

وعلى الصعيد السياسي كان عمر يتابع باستمرار نشاط أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته على جميع الأصعدة فكان يحاول وضع الخطط الكفيلة بمنع أمير المؤمنين عليه السلام من الوصول إلى الحكم وكان يعلم أن أفضل الطرق لمواجهة أمير المؤمينن عليه السلام تمكين بني أمية من البلاد وتثبيت موقعهم السياسي.

ولاجل ذلك سافر إلى الشام وبحث مع معاوية السبل الكفيلة بالاستمرار في إقصاء أمير المؤمنين عليه السلام عن سدة الحكم.

وعلى الرغم من كون عمر متحفظاً من ولاته وكان يتابع تنامي ثرواتهم المالية باستمرار لئلا تشكل الثروة المالية التي يملكونها عاملاً سلبياً في التأثير على خططه السياسية التي يحاول بها توزيع القوى السياسية بالنحو الذي يؤثر في تحديد نوع السلطة الحاكمة من بعده.

ولهذا السبب شاطر عماله ما يحوزتهم من أموال واستثنى عاملين من عماله الأول قنفذ العدوي لما له من مكانة خاصة عنده وللدور الآثم الذي قام به إبّان الاعتداء على دار الزهراء عليها السلام والثاني معاوية بن أبي سفيان تثبيتاً للسلطان الأموي وتقوية له[1].

وكان من أهم التدابير التي اتخذها عمر مع معاوية لمنع وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى كرسي الحكم تدبير وصول عثمان إلى مسند الخلافة من بعده، وتأمير معاوية على الشام وعمرو بن العاص على مصر، فإذا قدر لعثمان عدم الوصول إلى سدة

١ ـ كتاب سليم بن قيس ص ٢٢٤، بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣٠٢، بيت الأحزان ص ١١٥، ١٢٥، النص والإجتهاد ص ٣٦١، ٣٧٣، أحاديث أم المؤمنين عائشة ج ١ص ٢٩٦، سير أعلام النبلاء - الذهبي ج ٢ ص ١٢٣.

الحكم أو اتفق وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى قيادة الدولة كان وجود معاوية في الشام وعمرو في مصر وتمكنهما من الثروات المالية الضخمة والطاقة البشرية الهائلة عاملاً مساعداً على سرعة زوال ملك أمير المؤمنين عليه السلام وإعادة الحكم إلى العوائل القرشية وإبعاد بني هاشم عن السلطة وإلى الأبد.

وفي قبال ذلك كان تأثير عائشة بنت أبي بكر ليس بالقليل على عمر بن الخطاب فطرحت عليه فكرة إيصال طلحة أو الزبير إلى الحكم، وخشية وقوع الصراع بين العوائل القرشية نتيجة الإطروحتين والإطروحات الأُخَر التي كان يطالب بها باقي بطون قريش ومن بينهم بنو هاشم قرر عمر أنْ يقوم بتعيين مجموعة من شخصيات قريش على أنْ ينتخب أولئك المعينون شخصاً من بينهم يسند إليه مسؤولية إدارة الدولة. والشخص يجب ألاّ يكون أمير المؤمنن عليه السلام ولا رجلاً من بني هاشم مع إشراكهم في الشورى، لأن عدم إشراكهم فيها سيترك أثراً سلبياً على الصعيد السياسي ويشكل مسوغاً للطعن بنتائج الانتخاب.

وفي سبيل تحقيق هدف عمر اشترط أنْ يعمل الخليفة الذي يأتي بعده بتشريعاته وتشريعات أبي بكر، وكان يريد بهذا الشرط تحقيق هدفين الأول أنْ تكون هذه التشريعات سبباً في منع وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحكم لأن العمل بها سيكون شرطاً في عقد البيعة والثاني إنّ هذه التشريعات ستوجد أعداءً ومنافسين لأمير المؤمين عليه السلام يقومون بإرباك دولته لو قدر له الوصول إلى سدة الحكم.

ومن تلك التشريعات التميز في العطاء، وتشريع الجماعة في نوافل شهر رمضان، واعتبار الموالي مواطنين من الدرجة الثانية، ومنع رواية السنة النبوية وتدوينها[1].

---

١ . بحار الأنوار ج٣١ ص ٨، معالم المدرستين ج ٢ ص ١١، شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج ١٢ ص ٢٨٣، معاني القرآن - النحاس ج ٦ ص ٣٦٢، البرهان - الزركشي ج ٣ ص ٣١٣، الصحيح من السيرة ج ٢ ص ١٤٩.

الشيعة في مواجهة المخطط

لم يقف الشيعة أمام خطط السلطة مكتوفي الأيدي بل تحركوا بقدر ما يسعهم في سبيل توفير مقدمات إرساء العدالة في المجتمع المسلم.

فكانوا على الصعيد العلمي يتداولون أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وينقلوها إلى الناس بقدر ما تسنح لهم الفرصة ويسمح به الظرف حفاظاً على تراث النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الضياع، بل إنّ الإمام الحسن عليه السلام أمر بنيه وبني أخوته وبني عمومته بالانكباب على العلم، وأصدر أمير المؤمنين عليه السلام أمره إلى مريديه بتدوين العلم(١).

وعلى الصعيد السياسي كان الشيعة يؤكدون على دور أمير المؤمنين عليه السلام ويدعون المسلمين إلى الوقوف إلى جنبه كلما تمكنوا من ذلك وأهم حادثة تذكر في هذا الباب مارواه السيوطي عن دعوة شخص لم يذكر اسمه إلى بيعة فلان وإنّه سيبايعه كما بويع أبو بكر.

ومن الواضح إنّ هذا الشخص المدعو إليه كان قرشياً لإنّ عمر عند محاولته التصدي للمشروع لم يحتج بأن الخلافة لا تكون إلاّ في قريش(٢) وكذا فالمدعو إليه من

١ . الغارات ج ٢ص ٧١٨، منية المريد- الشهيد الثاني ص ٢٤٠، بحار الأنوار ج ٢ص ١٥٢، سنن الدارمي ج ١ص ١٣٠، ١٣٨، كتاب العلم ص ٢٤، الحد الفاصل ص ١٩٤، ٣٧٠، الجامع الصغير ج ١ص ١٢٩، كنز العمال ج ١٠ص ٢٥٧، ٢٦١، كشف الخفاء ج ٢ص ٢٤، إرغام المبتدع الغبي ص ٣٦، الطبقات الكبرى ج ٦ص ١٦٨، العلل - أحمد بن حنبل ج ١ ص٢١٣، ٤١٧، التاريخ الكبير ج ٨ ص ٤٠٧، تاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٥٢، تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ١٣ص ٢٥٩، ج ٤٦ص ٣٠١، تهذيب الكمال ج ٦ص ٢٤٢، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٧:، البداية والنهاية ج ٨ ص ٤٥، ترجمة الامام الحسن عليه السلام- ابن عساكر ١٦٧، ١٦٨، الصحيح من السيرة ج ١ص ١٨٣.

٢ ـ المسترشد ص ١٣٧، الطرائف ص ٢٣٧، الصوارم المهرقة ص ٥٥، بحار الأنوار ج ٣٠ ←

الأشخاص الذين يرفض الجهاز الحاكم وصوله إلى الحكم، كما إن الشخص الداعي لا ريب في كونه من الشخصيات المهمة بدليل عدم جرأة عبد الرحمن بن عوف على مواجهته وإسراعه إلى عمر وإبلاغه حديث الرجل وانفعال الأخير وعزمه على إلقاء خطاب في الحجيج لمنع صاحب المقال وأصحابه من الوصول إلى أهدافهم، لكن عبد الرحمن ثنى عمر عن عزمه خشية استفادة صاحب الدعوة من حديث عمر في إثبات حق صاحبه، وطلب منه اتخاذ إجراء سريع عند عودته إلى المدينة لتفويت الفرصة عليهم[1].

وبالجمع بين هذه الحقائق سنجد أنّ الذي قام بهذه الدعوة شخص من المسلمين الأوائل ومن خُلّص أنصار أمير المؤمنين عليه السلام وهناك تصريح في بعض الروايات إن الذي قام بهذا العمل عمار بن ياسر رضوان الله عليه.

وهذا دليل آخر على النشاط الشيعي على صعيد المواجهة السياسية أيام عمر بن الخطاب.

وأما على الصعيد الاقتصادي فالشيعة الذين فرضت عليهم الإقامة الجبرية توجهوا إلى الأعمال الحرة لتقليل آثار الحصار الاقتصادي الذي فرضته عليهم السلطة المركزية وكانوا يعلمون أنّ قريشاً وأغلب العرب لن يكونوا إلى جانب أمير المؤمنين عليه

ص٤٦٤، ج ٤٩ ص ٢٥٤، فتح الباري ج ١٢ص ١٣١، ١٣٨، المصنف - الصنعاني ج ٥ ص٤٤١، السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٧٤، صحيح ابن حبان ج ٢ ص ١٤٦، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٤، شرح نهج البلاغة ج ٢ص ٢٢، ٢٥، تدوين القرآن ص ١٠٨، ١٠٩، تاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص ٢٨٠، البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٦٥، ٢٦٦، سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ج ٤ ص ١٠٧١، السيرة النبوية ج ٤ ص ٤٨٦، ص ٤٨٧.

١ ـ مسند أحمد ج ١ص ٥٥، صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٥، ٢٦، مجمع الزوائد ج ٦ ص ٥، مقدمة فتح الباري ص ٣٢٧.

السلام لذا صبوا أغلب نشاطهم على الموالي والداخلين تواً إلى الإسلام، وهذه النقطة كانت مثار حساسية شديدة عند مركز السلطة لذلك فرضت الإقامة الجبرية على عدد كبير من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ومع ذلك كان في بعض الأحيان يضطر إلى الاستعانة بأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كما حدث مع سلمان الفارسي رضوان الله عليه بعد فتح المدائن، لأن أهلها من الفرس وسلمان رضوان الله عليه هو الأقدر على التفاهم والتعامل معهم، فنصبه عمر والياً على المدائن، ومن بعده نصب حذيفة بن اليمان رضوان الله عليه، والسبب الثاني الذي دعا عمر إلى نصب هذين الرجلين الجليلين على المدائن كون المدائن ليست ذات تأثير كبير لضعف حاميتها العسكرية وقلة مواردها المالية، والمرة الثانية التي اضطر معها عمر إلى الاستعانة بأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام نصبه لعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهما عمالاً على الكوفة الأول والياً عليها والثاني خازناً لبيت مالها، والسبب في ذلك أنّ أهل الكوفة شكوا أبا موسى الأشعري، لأنه كان يتاجر بكلائهم وشكوا سعد بن أبي وقاص لأنه لم يكن يحسن الصلاة !!! فأراد عمر أن يرسل إلى الكوفة رجالاً لا تُوجه إليهم تهمة التلاعب بالأموال العامة ولا الجهل بأحكام الشريعة بهذا النحو الواضح، فلم يكن عنده إلاّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فأرسل إليهم عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهما.

وبالإضافة إلى العمل الإداري الموكّل إليهما كان عبد الله بن مسعود رضوان الله عليه يعلم الناس القرآن بطريقة لم تثر حفيظة عمر بن الخطاب، أمّا عمار بن ياسر رضوان الله عليه فكان يدعو الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام مما دفع أتباع الجهاز الحاكم إلى إبلاغ عمر بنشاط عمار رضوان الله عليه فعزله عمر عن ولاية الكوفة بعد أشهر من نصبه.

الشورى العمرية

أمضى عمر في الحكم زهاء عشر سنوات أشرنا فيما تقدم إلى جملة من مخططاته لمصير الخلافة من بعده،وكان أهم ما يواجهه هو كيفية وصول البيوتات القرشية إلى الحكم مع الأخذ بعين الاعتبار منع وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى قيادة الدولة.

كان عمر يواجه ضغوطاً يفرضها عليه الواقع الموضوعي بسبب نشاطات القرشيين ومدى تأثيرها في نفسه.

كان عمر لا يريد القيام بعملية التنصيص والإيصاء المباشر لشخص معين من قريش، لسببين الأول المطامع القرشية ورغبة جميع العوائل في الاشتراك في الحكم، والثاني وهو الأهم المفاجأة التي قام شيعة أمير المؤمنين عليه السلام والتي جوبه بها في موسم الحج حيث كانوا يدعون الناس لامير المؤمنين عليه السلام ويبشرون بالعهد العلوي ويؤكدون حق أمير المؤمنين عليه السلام في إدارة الحكم، كان الشيعة يقومون بذلك معرِّضين أنفسهم للأخطار إذ يعلمون مدى حساسية السلطة.

فمع هذه الظروف أدرك عمر أنّ عملية الإيصاء المباشر من شأنها أنْ تصب على الأمد البعيد في صالح أمير المؤمنين عليه السلام ذلك لأن العوائل القرشية أصبحت جميعاً تطمح للحكم وإدارة البلاد وهذا يعني أنها ستتنازع فيما بينها وتفقد موقفها الموحد ضد بني هاشم، في الوقت الذي يعمل الشيعة ليلاً ونهاراً لإعادة الحق إلى أهله غير طامعين بشيء إلاّ رضا الله تعالى وأداء تكاليفهم الشرعية تجاه أهل بيت نبيهم عليهم السلام فاختار عمر طريقة جديدة يضمن معها وصول العوائل القرشية إلى الحكم واحدة تلو الأخرى مع منع وصول أمير المؤمنين عليه السلام وبني هاشم إلى السلطة، بالإضافة إلى ضمان الموقف الموحد لقريش، وهذا المنهج الجديد هو الشورى التي سيخطط فيها لوصول عثمان إلى الحكم شريطة أنْ يكون الأمر من بعده لعبد الرحمن بن عوف.

لم تمض الأيام طويلاً حتى اغتيل عمر في مؤامرة دبرها الطامعون ولعل الذي دعاهم للاسراع ما لا حظوه من قوة النشاط الشيعي، وخوفهم من تمكن الشيعة من الوصول إلى غاياتهم، ذلك لأنهم يعدّون موقف عمر غير كفيل على الأمد البعيد في ضمان مصالحهم ولعل الدور الأموي في المؤامرة كان كبيراً، ونشاط عثمان الداعي إلى تسليط بني أمية وتحويل الخلافة إلى حكم عائلي وراثي يؤيد ذلك، كما إنه ليس من البعيد اشتراك المغيرة بن شعبة في هذه المؤامرة، فالغلام الذي اغتال عمر كان غلامه، وما يدعيه القوم في كون السبب الذي دعا أبو لؤلؤة لاغتيال عمر عدم إنصاف الأخير للغلام من جشع المغيرة مدعاة للضحك فالأولى للغلام في مثل هذه الحالة الهرب من مولاه أو قتل مولاه لا قتل الخليفة الذي لم يأخذ منه شيئاً، ولا يبعد اطلاع كعب الأحبار على المؤامرة ومحاولته صرف أنظار الخليفة عن البحث وراء السبب الحقيقي لاغتياله بدعوى أنه يرى أنّ التوراة تدل على شهادة عمر !!![1]

وما إن اصيب عمر وأيقن بالموت حتى وضع الخطة التي أمضى في رسمها وقتاً طويلاً موضع التنفيذ، فهو لضمان موقف عائشة وبني تيم وآل العوام أشرك طلحة والزبير في الشورى ولإسكات بني هاشم والأنصار والشيعة أشرك أمير المؤمنين عليه السلام فيها. وللوصول إلى غايته الحقيقية من الشورى أشرك عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص الزهريين وعثمان بن عفان الأموي.

إنّ اختيار هذه الشخصيات دليل على حنكة عمر السياسية، فعائشة لو لم يكن ابن عمها وزوج أختها شريكين في الشورى لعملت ما في وسعها لإفشال المخطط الذي رسمته السلطة، وعمر يدرك تأثير عائشة السياسي فلم يغب عن فكره دورها الكبير في مدّة الصراع على الخلافة بعد إبان وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واختيار شخصيتين من بني

١. نسخة وكيع- وكيع بن الجراح ص ٩٦، اضواء على السنة المحمدية ص ١٥٣، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٤ ص ٤٠٣.

زهرة كان لضمان وصول عثمان إلى الحكم، لأنه يعلم أنّ عبد الرحمن سيمنح صوته لعثمان ـ وليس من البعيد إنّ ذلك كان بتوصية منه ـ وإدخال سعد في الشورى كان لضمان التكافؤ في الأصوات لأن صوت سعد سيكون مع صوت عبد الرحمن، ولو أراد إدخال غير سعد لم يضمن التكافؤ، ولم يكن إدخال سعد لمنحه الخلافة حقيقة إذ سبق له أنْ عجز عن إدارة ولاية واحدة من ولايات البلاد فكيف بالبلاد كلها.

وأصدر عمر قرارته وتوصياته للمنتخبين التي تصب نتيجتها في صالح عثمان بن عفان، وكانت قررات عمر تنص على:

١ ـ يشترط على الخليفة المنتخب العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة أبي بكر وعمر.

٢ ـ لا يحق للخليفة المنتخب تغيير عمال عمر على الأمصار إلاّ بعد مضي سنتين من حكمه.

٣ ـ قانون الانتخاب:

أ ـ يجب انتخاب الخليفة في ثلاثة أيام وبخلافه تضرب أعناق المجتمعين.

ب ـ لو اختلف المنتخبون فالخليفة هو الذي يحوز أكثر الآراء ورأيهم ملزم للآخرين ومن يعترض من المنتخبين تضرب عنقه.

جـ ـ لو رضي بعض ببعض وتساوت الأصوات فالخليفة في الجماعة التي فيها عبد الرحمن بن عوف.

د ـ على الستة المجتمعين الرجوع في المشورة إلى عبد الله بن عمر، الذي كان عيناً لأبيه على مسار الأحداث لضمان سيرها ضمن الدائرة التي رسمها عمر.

٤ ـ قطع اتصالات المجتمعين بالناس طيلة مدّة المباحثات لتعيين الخليفة.

وبهذا كانت الشورى العمرية تعيين غير مباشر من عمر لعثمان بن عفان، وفي الوقت نفسه كانت إجراءاً وقائياً لمنع وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى كرسي

الحكم، ذلك لأن وجود عبد الرحمن وسعد إنما كان لضمان التكافؤ في الأصوات إن لم تكن الأغلبية لصالح عثمان، وعلى فرض تساوي الأصوات فإن أمير المؤمنين عليه السلام لن يقبل بالشرط وهو العمل بسيرة أبي بكر وعمر.

ولو فرض المحال وقبل أمير المؤمنين عليه السلام بالشرط فإن ابقاء عمال عمر لستين في اعمالهم يعني القيام بثورة ضده واسقاط حكمه في اسرع وقت، هذا بالإضافة إلى منح عبد الرحمن بن عوف حق تعيين الخليفة والذي من المقطوع به ان سيختار عثمان بن عفان.

كان أمير المؤمنين عليه السلام يدرك الأسباب الحقيقية لوضع هذه الشروط، وكان يعلم منذ البدء أنّ عمر وقريشاً ـ بنحو عام ـ ما دام خيار تعيين الخليفة في يدها فلن تصل النوبة إلى بني هاشم، ولذلك لما سأله العباس بن عبد المطلب عن مستقبل الخلافة أخبره بأنها زويت عن بني هاشم عن طريق توزيع النسبة في الأصوات والشروط التي شرطها عمر.

وفي هذه المدّة حاول الشيعة جهدهم في تغيير الأوضاع لصالح أمير المؤمنين عليه السلام فكانوا يعقدون الحلقات في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويبينون خصائص أمير المؤمنين عليه السلام وحاول عمار رضوان الله عليه إلقاء خطاب في المجتمعين يدعوهم فيه لانتخاب أمير المؤمنين عليه السلام.

في المقابل كان بنو أمية ـ وخاصة مروان بن الحكم ـ يحاولون الوقوف في وجه شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ومنعهم من إيصال صوتهم إلى أفراد الأمة وجموعها فحصلت مشادات كثيرة وتهديدات بين المقداد وعمار وبني هاشم والشيعة من جهة ومروان وابن أبي سرح وبني أمية وقريش من جهة أخرى.

ولكن تلك المحاولات المخلصة من الشيعة لم تثمر في ثني المتواطئين عن المضي في مخططهم، فبعد أن تساوت الأصوات حيث منح الزبير وطلحة صوتيهما لأمير المؤمنين

عليه السلام بينما منح عبد الرحمن بن عوف وسعد صوتيهما لعثمان، خرج عبد الرحمن من الدار التي عقد فيها المجلس الاستشاري لاستطلاع الرأي العام في محاولة منه لإيهام الناس أن الرأي في الاختيار سيكون رأي الأمة لا رأيه محضاً، وبعد أنْ أنبأ الناس أنّ آراء المجتمعين انحصرت في أمير المؤمنين عليه السلام وعثمان وسأل الناس عن رأيهم في انتخاب أيّ الرجلين، كان رأي القرشيين ـ عدا بني هاشم ـ لصالح عثمان أمّا رأي بني هاشم وسائر أهل المدينة من غير القرشيين لصالح أمير المؤمنين عليه السلام.

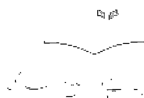
أدرك عبد الرحمن بعد الإستطلاع خطورة الموقف وضرورة الإسراع بالعمل بشكل لا يثير حفيظة الناس، فخرج بالمجتمعين إلى منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى جانبيه أمير المؤمنين عليه السلام وعثمان وعرض على أمير المؤمنين عليه السلام القيام بأعباء الخلافة بشرط العمل بالكتاب والسنة وسيرة أبي بكر وعمر، فرفض عليه السلام العمل بسيرة الرجلين واشترط على نفسه العمل بالكتاب والسنة، فلم يرض منه عبد الرحمن ذلك، ثم عرض على عثمان القيام بأعباء الخلافة بالشرط المتقدم فأجابه إلى ذلك فبايع عبد الرحمن عثمان وبايعته الناس ورفض أمير المؤمنين عليه السلام البيعة فهددوه بالقتل فلم يعبأ بهم، وادعى بعض المؤرخين أنّ أمير المؤمنين عليه السلام بايع نتيجة التهديد ولكن هذا باطل قطعاً وإلاّ فإنّ التهديد كان أكثر جدية وصراحة وامير المؤمنين عليه السلام أقل عدداً وناصراً في أيام أبي بكر ومع ذلك لم يبايع فكيف يبايع لأجل التهديد مع أنّ له من المريدين ما يكفي لدفع غائلة القوم عنه[1].

---

١ . شرح أصول الكافي ج ٢١ص ٤١٢، كتاب سليم بن قيس ص ٢٤١، الإيضاح ص ١٢٤، ١٣٨، المسترشد ص ٢٤٤، الطرائف ص ٢٣٧، ٢٤٠، بحار الأنوارج ٢٨ص ٣٣٨، ٣٨٣، ج ٣١ ص٧٧، ٣٨٥، ٣٩٦، الغدير ج ٥ص ٣٦٠، ج ١٠ص ٣٦، شرح نهج البلاغة ج ١ص ١٨٥، ١٩٠، ج ٩ص ٤٩، ج ١٠ص ٢٤٥، تاريخ المدينة ج ٣ص ٩٢٥، تاريخ الطبري ج ٣ص ٢٩٢، تاريخ ابن خلدون ج ٣ص ١٧١، الإمامة والسياسة ج ١ص ٤٢.

الفصل الرابع

الأوضاع السياسية أيام عثمان بن عفان



تولى عثمان الحكم بتخطيط من عمر وعبد الرحمن بن عوف، والتزم في السنتين الأولتين من حكمه بشرط عمر بن الخطاب، فأبقى عمال عمر في مناصبهم، وبعد مضي السنتين ظهرت في الأفق منهجية عثمان وخطته السياسية، كان عثمان يميل إلى جعل الحكم عائلياً، وكان الأمويون يعدّون الحكم فرصة ذهبية للاستفادة قدر الإمكان من القدرات التي يوفرها الموقع الرسمي في الدولة لبناء المجد الأموي في ظل الدولة التي بنيت بجهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجهوده وأهل بيته والخلص من أصحابه.

وكان لابد لترسيخ الحكم العائلي من تشديد القبضة الأموية على مواقع القدرة في الدولة، العسكرية والاقتصادية والإعلامية والتشريعية، وفي سبيل تحقيق هذا الغرض تسلط بنو أمية على مرافق الدولة المهمة كافة، فكان كل ولاة الأمصار المهمة من بني أمية إلاّ في بعض الفترات التي اضطر فيها عثمان لتولية أبي موسى الأشعري البصرة أو الكوفة بسبب عجز بني أمية عن إدارة هذين المصرين.

وإدارة الولايات تعني السيطرة على مواردها الاقتصادية ومتابعة التحركات السياسية فيها ومراقبة الشخصيات ذات التأثير السلبي على الحكم الأموي بالإضافة إلى تحديد قادة الجيوش والسيطرة على الأمن الداخلي للولاية، ورسم المنهجية المناسبة لضمان عدم تشكيل الولايات خطراً على مستقبل السلطة الأموية.

وعلى الصعيد الاقتصادي ركّز عثمان منهجية عمر في التمييز في العطاء، وزاد على ذلك الهبات والأعطيات التي كان يمنحها من الأموال العامة لبني أمية. كما قام

عثمان بمحاولة تأسيس الحصانة القضائية له ولعماله على الولايات.

وعلى الصعيد الإعلامي والبناء الثقافي للجيل المسلم ركز على منهجية عمر في إيكال أمر التثقيف إلى مسلمة أهل الكتاب الذين حرفوا أذهان الجيل المسلم عن الواقع الإسلامي، وفي المقابل أعاد إلى الوسط الإعلامي شعراء البلاط فكان يهب العطايا الجزيلة لمن يمتدحه، وهو أمر حاربه الإسلام بشدة.

أحس الطامعون بالسلطة ممن أشرك في الشورى العمرية أو كان له دور في تأسيسها بخطورة المنهج الجديد على مستقبلهم السياسي.

وعلى الرغم من تقرب عثمان إليهم بالهبات والأعطيات، إلاّ أنّ اختصاص إدارة البلاد ببني أمية كان مثاراً لقلقهم، فكانت خطوات عثمان الرامية إلى تمكين بني أمية من البلاد عاملاً أسياسياً في نقمة هؤلاء وأصحابهم عليه.

وأضيف إلى الناقمين من ولاة عمر الذين عزلهم عثمان عن أعمالهم وأوكلها إلى بني أمية وعلى رأسهم عمرو بن العاص. فهذا هو الاتجاه الأول الذي كان يعارض عثمان بن عفان.

والإتجاه الثاني كان يتمثل بدعاة إقامة العدل وإعادة الحقوق إلى أهلها وهم أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته.

استمر عثمان في خطته الرامية إلى تسليط بني أمية على المرافق المهمة في الدولة، وكانت العائدات المالية الضخمة تغرق خزانة الدولة، وعثمان يغدق بالهبات على بني أمية والمقربين منه، وهي تزيد أضعافاً مضاعفة على ما يوزع من العطاء.

أدّى هذا النحو من البذل غير المتزن إلى ظهور الطبقية بشكل واضح، وغدا أبناء البيوتات يعيشون حياة مترفة واتخذوا القصور والعبيد بحيث أصبح كل واحد يعيش كما يعيش أمراء الأكاسرة و القياصرة، وكان بنو أمية أكثر الناس ترفاً، حيث كانت

أعطيات عثمان لهم تجعلهم يتحيرون في كيفية التصرف بالأموال فعادوا إلى حياة الترف التي كانوا يعيشونها أيام الجاهلية من دون أن يأخذوا أيّ شيء في نظر الاعتبار، فكانوا يعيشون في القصور الشاهقة ويلبسون الثياب الفاخرة ويتعالون على الناس ويعدّون الناس خدماً وأتباعاً لهم ويهبون الأعطيات الجزيلة للشعراء، مما ولد صدمة كبيرة للمجتمع الذي عاش ما يقارب أربعاً وعشرين سنة من البساطة في الملبس والمأكل والمسكن، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يسكن إلاّ في البيوت المتواضعة ولم يأكل إلاّ أبسط الطعام ولم يلبس إلاّ الثياب المتواضعة، بل كان لا يكاد يتميز من المظهر بشيء عن سائر المسلمين، كما أنّ أبا بكر وعمر لم يظهرا حياة الترف والبذخ بالنحو الذي كان يقوم به عثمان، وحتى الأعطيات التي كان يخص الرجلان بها قومهما من تيم وعدي لم تكن بالنحو الذي قام به عثمان تجاه بني امية.

ومما زاد في النقمة الجماهيرية محاولة عثمان منح أقاربه حصانة قانونية وقضائية، فكان يوقع العقوبة في كل شخص يأتيه متظلماً من عماله، وكذلك محاولته إبطال الحدود إذا كان يراد إيقاعها على مذنب من الأمويين، كما حصل مع الوليد عندما شرب الخمر وصلى بالناس سكراناً أيام ولايته الكوفة.

وهكذا واجه عثمان تيارين من الناقمين:

١ـ تيار الطامعين في الحكم وعلى رأسهم عائشة بنت أبي بكر وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف الذي مات مخاصماً لعثمان لا يكلم أحدهما الآخر، بالإضافة إلى عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأشباههما.

٢ـ المصلحون وعلى رأسهم المقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري وعدد كبير من الأنصار في المدينة ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة في مصر ومالك الأشتر وعبد الله بن مسعود في الكوفة وعثمان بن حنيف في البصرة.

تطور الأزمات السياسية

شهد عصرعثمان انفراجاً نسبياً تجاه الصحابة حيث رفعت عنهم الإقامة الجبرية التي فرضها عمر، وأصبح في وسعهم التحرك هناوهناك في بلاد المسلمين والمشاركة في الغزوات، فتوجه عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر رضوان الله عليهما إلى مصر ومارسا بالإضافة إلى محمد بن أبي حذيفة رضوان الله عليه هناك نشاطهم التبليغي في الدعوة إلى أمير المؤمنين عليه السلام وبيان خصائصه وفضائله في الوقت الذي كانوا يُعرّضون بإنحراف الولاة بالظلم الذي كانوا يوقعونه بالعباد وفساد الإدارة الذي تعيشه البلاد.

بدأ هذا النشاط التبليغي يؤثر في الجماهير المصرية حيث تحول المجتمع المصري إلى مؤيد للإصلاح أو ناقم على الوضع القائم أو ساكت لا إلى هذا ولا إلى ذاك ولم يبق مؤيداً للسلطة القرشية سوى فئة من القرشيين سكنت خربتا وكان لها دور سلبي تجاه حكم أمير المؤمنين عليه السلام.

شعر عمال بني أمية بخطورة عمار ومحمد رضوان الله عليهما على مستقبلهم السياسي لو لم يحدوا من تحركهما مما دفعهم في إحدى الغزوات إلى حملهم في سفينة فيها نصارى لئلا يؤثر نشاطهما التبليغي في مقاتلة المسلمين، وعلى الرغم من محاولة عمال بني أمية الحد من تأثير عمار ومحمد رضوان الله عليهما إلاّ أنهم كانوا بحاجة إلى وجودهما بين المقاتلة لتهدئة الأوضاع، بل روي أنّ عثمان هو الذي بعث عماراً إلى مصر لغرض الوقوف على حقيقة شكاوى الناس من عماله.

وفي الكوفة كان عبد الله بن مسعود رضوان الله عليه يعلّم الناس القرآن ويبين لهم الأحكام وكان يشير إلى فضائل أمير المؤمنين عليه السلام عند وجود مناسبة لذلك في أسباب النزول أو الأحداث التي تتعلق به، وكان إلى جنبه في ذلك جملة من شيعة أمير

المؤمنين عليه السلام من ربيعة وهمدان الذين هاجروا إلى الكوفة أيام الفتوحات وعلى رأسهم مالك بن الحرث النخعي رضوان الله عليه، وكان للشيعة دور كبير في المطالبة بإقامة العدل والحد من جور الولاة واستهتارهم، وهم الذين أخذوا الخاتم من يد الوليد وهو يصلي سكراناً في مسجد الكوفة وطالبوا بعزله، وهم الذين وقفوا في وجه سعيد بن العاص وطالبوا بعزله وبعد إن أعاده عثمان إليهم منعوه من دخول الكوفة ففوتوا بذلك عليه محاولة إذلال المسلمين والتلاعب بدمائهم، فعاد أدراجه إلى عثمان، كما حصل مع صاحبه عبد الله بن سعد في مصر.

وفي المدينة المنورة كان أبو ذر والمقداد وعمار لا يألون جهداً في محاولة الحد من إنحرافات السلطة على مختلف الأصعدة.

وفي عهد عثمان جرت مشادات ونزاعات كثيرة بين أمير المؤمنين عليه السلام وعثمان حتى كاد القتال أنْ يقع بينهما مرات متعددة إلاّ أنّ عثمان كان ينسحب خوفاً من عواقب الأمور.

سياسة العائلة الاموية في مواجهة المعارضين

كانت العائلة الأموية التي تسلطت على مقادير السلطة أيام عثمان تقسم المعارضين إلى:

١ ـ الطامعين بالحكم وهم الذين لم يعرّضوا بسياسة عثمان في التصرف غير المحدود في الأموال العامة وإن كانوا يعترضون على تخصيص بني أمية بالهبات والأعطيات غير المحدودة، وعلى تسليط بني أمية على رقاب المسلمين، ونحوها من الاعتراضات التي ما كانت لتضر بهم لو تصدوا للحكم، وكان أولئك لا يشكلون معارضة ذات خطر حقيقي بسبب قلة أتباعهم وسهولة القضاء عليهم وسهولة شراء مواقفهم بالمال.

ولعله لهذا السبب لم يذكر التاريخ أنّ رجالات الأمويين وقفوا في وجوههم أو اتخذوا موقفاً حدياً تجاههم.

٢ ـ المطالبون بالإصلاحات وهم على قسمين:

أ ـ المطالبون بالإصلاحات الجزئية بالقدر الذي يرفع الحيف والظلم الذي أوقعه بهم الولاة وهم القطاع العام من المصريين والبصريين والكوفيين. وكانت يتعرضون دائماً لتهديد السلطة ووعيدها ومختلف ألوان العقوبات. مما دفعهم بعد ذلك إلى حصر عثمان وقتله نتيجة لتلاعب مروان بن الحكم وهو الشخص الثاني في بلاط عثمان بن عفان بمصيرهم وسعيه للقضاء عليهم.

ب ـ الذين كانوا يسعون إلى إحداث إصلاح جذري في البلاد عن طريق الدعوة والعمل على تنصيب حكومة صالحة يقودها المعصوم عليه السلام لأنهم أدركوا أنّ صلاح أحوال الأمة في شؤون دينها ودنياها يعتمد بدرجة كبيرة على الإمام الذي تتبعه الأمة، وهؤلاء هم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وعلى رأسهم أبو ذر والمقداد وعمار ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة ومالك الأشتر وعبد الله بن مسعود وقيس بن سعد بن عبادة وعثمان بن حنيف وأخيه سهل وحجر بن عدي وعدي بن حاتم الطائي رضوان الله عليهم.

كانت مواجهة عثمان الشديدة موجهة للشيعة لأنه يعدّهم أهم الأخطار التي تواجه ملكه ومستقبل العائلة الأموية، إذ ليسوا هم من الفئة ذات الأطماع والمصالح التي يمكن إسكاتها بالأموال والهبات والتلويح بالعصا، وليسوا من الفئة ذات المنظار الشخصي في طلب الإصلاحات كي يستطيع إسكاتهم بالإيذاء أو تغيير الولاة، بل هم أصحاب مبادئ وعقيدة يستمدون قوتهم وصلابتهم من القرآن الكريم والسنة المطهرة وحكمة زعيمهم وزهده وورعه وتقواه وعلمه.

فلم يستطع عثمان صبراً على تعريض أبي ذر رضوان الله عليه به وبسياسته المنحرفة وبالجور والظلم الذي يرتكبه عماله في مختلف بقاع البلاد، وحياته الباذخة وإيوائه طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتخاذه وزيراً له فنفاه عثمان إلى الشام.

ولم يكن منهج معاوية بأقل انحرافاً فأقام أبو ذر الدنيا وأقعدها على معاوية الذي حاول إغراءه بالمال، فما زاد ذلك أبا ذر إلاّ شدة فكتب معاوية إلى عثمان يطلب منه أن يخرج أبا ذر عن الشام لأنه سيفسد أهلها عليه، فأمر عثمان بإعادته إلى المدينة بصورة مهينة فودعته جموع الشام باكية.

ووصل أبو ذر المدينة فلم يكف عن التعريض بالظلم والظالمين فنفاه عثمان إلى الربذة، ولم يكتف بذلك بل أصدر امراً بأنْ لا يشيعه أحد من الناس، إهانة له وحطاً من قدره وهو الذي روت الأمة عن نبيها صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الجنة تشتاق إليه.

وأثار عثمان بشدة مواقف عمار رضوان الله عليه[1] الجريئة في مواجهة إنحراف سياسة الدولة عن منهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزاد في حنقه صلاته على المقداد وابن مسعود سراً ولم يخبر عثمان بهما مما كان يشكل تحدياً وتعريضاً صريحاً به، والذي أفقد عثمان توازنه الجرأة المنقطعة النظير التي واجهه بها عمار رضوان الله عليه في مجلسه الخاص وفي المسجد النبوي مما دفع عثمان إلى ضربه حتى فتق وأغشي عليه ولم ينقذه الا تدخل السيدة أم سلمة رضوان الله عليها. وأراد عثمان نفي عمار رضوان الله عليه إلى الربذة فلما علم بنو مخزوم بذلك تحصنوا مع عمار رضوان الله

١ - خلاصة عبقات الأنوار - السيد حامد النقوي ج ٣ص ٢١، ٨٠، الغدير ج ٩ص ٥، ١٩، احاديث أم المؤمنين عائشة ج ١ص ١١٧، ١٣٤، تاريخ بغداد ج ١ص ١٦٠، تاريخ مدينة دمشق ج ٣٣ ص ٥٥، ١٩١، أسد الغابة ج ٣ص ٢٦٠، الإمامة والسياسة.

عليه في دار السيدة أم سلمة رضوان الله عليها لأن عمار وأباه رضوان الله عليهما حليفان لهم في الجاهلية وأرسلوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يطلبون منه التدخل في منع عثمان من نفيه.

فذهب عليه السلام وندد بسياسته تجاه خلص أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وخشي عثمان المضي في ما قرره تجاه عمار رضوان الله عليه لئلا يضم بنو مخزوم صوتهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام مما يشكل خرقاً في وحدة الموقف القرشي تجاه بني هاشم مما يشكل تهديداً للمستقبل الأموي فانثنى عن قراره في نفي عمار رضوان الله عليه[1].

وأمّا عبد الله بن مسعود فإنّه كان يندد بسياسة الوليد الفاسق عامل عثمان على الكوفة وتلاعبه بالأموال العامة، وكان يزرع في قلوب الأمة الحب والولاء لأمير المؤمنين عليه السلام عن طريق ما يذكره لهم في درسه القرآني من خصوصيات أمير المؤمنين عليه السلام، وكان قد جعل في حاشية مصحفه الأحاديث والروايات الدالة على أسباب النزول وفيمن نزلت، ولما كان هناك جملة من الأحداث التي كان القرآن الكريم يعرض فيها ببني أمية، فكان يحدث الناس بها ويشير إليها، فكان بهذه الطريقة يبذر في القلوب محبة أمير المؤمنين عليه السلام ومن جهة أخرى ينفر الناس من بني أمية. وكان للمنهج التعليمي الذي قام به ابن مسعود وأبي بن كعب باعثاً لعثمان للقيام بالعملية التي عرفت بعد ذلك بتوحيد المصاحف التي قام عثمان فيها بجمع مصاحف الصحابة التي كتب بعضها على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم تكن الغاية الوحيدة جمع الناس على مصحف واحد كما هوالمدعى، إذا أنّ مصاحف الأمصار كان فيها بعض الاختلاف، وكان يمكن توحيد المصاحف بلا إحراق لما دون منها كما فعل مع مصحف

١ ـ الغدير ج ٩ ص ١٨، نهج السعادة ج ١ص ١٦١، أحاديث أم المؤمنين عائشة ج١ ص ١٣٢، مواقف الشيعة ج ٢ ص ٤٠٩، الفوائد الرجالية - السيد بحر العلوم ج ٢ص ١٥٨.

حفصة الذي جمع على عهد أبي بكر حيث أعاده لها بعد الفراغ منه، أمّا بقية المصاحف فقام بإحراقها، وعلم ابن مسعود بالمراد فقرر أنْ لا يسلم مصحفه لعثمان فهو قد قرأه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحق لأحد سلبه منه وهو تراث الأمة لما فيه من مرويات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم توضح الكثير مما قد يخفى على الأمة، كما أنّ هذا التراث المكتوب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يحق لأي شخص أنْ يسلبه منها تمريراً لغاياته كما حصل مع الروايات المدونة على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي أحرقت في العهود المتقدمة. وازدادت الأمور تعقيداً بعد أنْ أبلغت السلطة ابن مسعود بضرورة تسليم مصحفه إليها فأبى أن يقوم بذلك، فأمر عثمان بتسفيره إلى المدينة.

ولما أصرّ ابن مسعود على رفض تسليم المصحف أمر عثمان بعض عبيده بإخراج ابن مسعود من المجلس مهاناً فرفعه العبد وجلد به الأرض حتى تداخلت أضلاعه وامر عثمان بقطع رزقه من بيت المال ولم تمض عليه[1] مدّة حتى وافاه الأجل متأثراً بجراحه.

أمّا مالك وأصحابه فكانوا يندّدون بسياسة الدولة المركزية وسياسة العمال فشكاهم سعيد بن العاص عامل الكوفة إلى عثمان فأمره الأخير بنفيهم إلى الشام وهناك أخذوا يحدثون الناس عن الإنحراف في سياسة معاوية فطلب الأخير من عثمان إخراجهم من الشام[2] فأعادهم إلى الكوفة فعادوا أشد مما كانوا فكتب إليه سعيد مرة

---

١ . مستدرك الوسائل ج ٤ص ٢٠٤ح٤٤٩٧ / ٢، الصراط المستقيم - علي بن يونس العاملي ج٣ ص٢٢٨، ٢٣٩، خلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص ٧٩، ٨٠، الغدير ج٩ ص٤، ٦، السيرة الحلبية ج٢ ص٨٧، شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج٣ ص٤١، مراصد الاطلاع ج٢ ص٩١١، تفسير مجمع البيان ج ٩ص ٣٥٤، تاريخ المدينة - ابن شبة النميري ج٣ ص١٠٥١.

٢ . الغدير ج ٩ ص ٣١، أحاديث أم المؤمنين عائشة ج ١ ص ٣٠٤، مواقف الشيعة ج ٢ص ٢٢٧، شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج ٢ص ١٢٩، ج ٣ص ٢١، الطبقات الكبرى ج ٥ ←

أخرى فأمر بنفيهم إلى قنسرين حيث عبد الرحمن بن خالد بن الوليد الذي أساء إليهم كثيراً فقرروا التمرد على أوامر عثمان وتركوا حمص وعادوا إلى الكوفة، وأخذوا يؤلبون الناس على سعيد بن العاص.

كان لمروان بن الحكم دور كبير في تحديد سياسات الدولة أيّام عثمان وكان يحاول بهذا النهج تربية الأمة على قبول بني أمية حكاماً دائميين للبلاد.

القضاء على عثمان

لم يعد المجتمع الكوفي والبصري والمصري قادراً على تحمل ولاة عثمان فقرر زعماء تلك البلاد التوجه إلى المدينة والضغط على عثمان لتغيير الولاة.

فخرج الأشتر وعددٌ كبيرٌ من أهل الكوفة، وعثمان بن حنيف الأنصاري بجماعة كبيرة من أهل البصرة، وتوجه عدد كبيرمن المصريين مع محمد بن أبي بكر إلى المدينة.

لم تكن مطاليب الناس سوى تغيير الولاة الذين أفسدوا البلاد وأضروا بالعباد وعدم الاقتصار في إرسال القوات الفاتحة على الموالين لبني أمية.

وعلى الرغم من أحقية هذه الطلبات إلاّ أنّ عثمان لم يستجب لهم وأرسل إلى معاوية بن أبي سفيان وسعيد بن العاص وعبد الله بن سعد وعبد الله بن عامر وعمرو بن العاص يستشيرهم في الأمر خصوصاً وإنّ الحالة القائمة أصبحت تشكل تهديداً جدياً فكانت اقتراحات المستشارين:

١ ـ قتل رؤوس المعارضة والتنكيل بالأتباع وممارسة سياسة التجويع والإرهاب الأمني.

ص٣٢، ٣٣، تاريخ مدينة دمشق ج ٢١ص ١١٥، تاريخ الطبري ج ٣ص ٣٦٥، تاريخ ابن خلدون ق٢ ج ٢ ص ١٤٠.

٢ ـ شغل المعارضة بالحروب، عن طريق بعثهم في الفتوحات المتتالية وعدم منحهم إلاّ أقل القليل من المكاسب التي تحوزها سيوفهم، فمنهم من ستأكله الحرب ومنهم من ستشغله نفسه عن سياسة الدولة.

٣ـ اعتزال عثمان للحكم، وهذا الرأي طرحه عمرو بن العاص الذي كان غاضباً من عثمان بسبب عزله عن مصر التي كان عاملاً عليها أيام عمر بن الخطاب.

واتفق رأيهم في النهاية على أنْ يقوم كل والٍ بتدبير ولايته بالكيفية التي يراها مناسبة.

علم معاوية أنّ هذا القرار من شأنه أنْ يقضي على عثمان بسرعة خاصة والمعارضة ما يزالون على حدود المدينة فأشار على عثمان أنْ يغادر إلى الشام وكان بذلك يريد ضمان أمرين:

الأول: عدم تمكن المعارضة من الوصول إلى مرادها بسرعة.

الثاني: ضمان إيصاء عثمان له بالأمر من بعده لأن مروان بن الحكم كان منافساً لمعاوية وهو أقرب إلى عثمان نسباً من معاوية بالإضافة إلى كونه صهره.

والظاهر أنّ مروان خشي من مشروع معاوية في السيطرة على الأوضاع كما أنّ عثمان خشى من انتشار الثورة في باقي ربوع الدولة لو خرج من المدينة، وربما خلع الناس عثمان، فقرر عثمان البقاء على أنْ يرسل إليه معاوية حامية من أهل الشام ترد عنه ما يمكن أنْ يتعرض له من أخطار.

أدرك معاوية أنّ الأحداث تشير إلى نهاية عثمان القريبة فأضمر في دخيلة نفسه عدم إرسال القوة التي وعده بها. لأن هذه القوة قد يقضى عليها في المدينة مع أنه بحاجة إليها في تدبير أمور ملكه، وهو بدلاً من الدفاع عن عثمان عليه أن يوظف دمه للوصول إلى أهدافه.

وعلم ممثلو الولايات أنّ عثمان أعاد الولاة عليهم فسارع الكوفيون إلى صد سعيد بن العاص من دخول البلدة وتنازع أهل الكوفة في من يكون أميراً عليهم وكانت آراؤهم مختلفة فقرروا نصب أبي موسى الأشعري لحين استقرار الأوضاع وسكت الشيعة عن ذلك حفاظاً على وحدة الصف الكوفي.

أما المصريون فإنّ محمد بن أبي حذيفة رضوان الله عليه تولى إدارة أمور مصر ومنع عبد الله من دخولها.

وكان عثمان قد كتب مع الوفد المصري كتاباً إلى عامله يأمره أن ينصف الناس وأن لا يمنعهم من المشاركة في الغزوات.

وأخذ المصريون الكتاب وقبل انصرافهم إلى مصر رأوا رسولاً خارجاً باتجاه مصر فراهم أمره ففتشوه فوجدوا معه كتاباً بختم عثمان إلى واليه يأمره بقتل بعض شخصياتهم وصلب بعض آخر والتنكيل بالمعترضين على سياسة السلطة، فأبلغوا الكوفيين والبصريين بما عثروا عليه فعاد الجميع إلى المدينة وارسلوا إلى أهم الشخصيات في المدينة وأخبروهم بما عثروا عليه، فذهبت تلك الشخصيات وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان وسألوه فأقر أنّ العبد عبده والخاتم خاتمه إلاّ أنه لم يكتب ما في الكتاب ولم يأمر به، فطالبوه باعتزال الأمر لأنه إن كان صادقاً فهو لا يصلح لإدارة أمر البلاد وإن كان كاذباً فلا يصلح أيضاً لاستهتاره بدماء الرعية، فلم يستجب لهم وأصرّ أبناء الولايات الثلاث على اعتزال عثمان الحكم.

وفي الوقت ذاته كان الزبير وطلحة وعائشة يؤلبون الناس ضد عثمان بينما اعتزل أمير المؤمنين عليه السلام وأمر بني هاشم وشيعته بالاعتزال.

استمر الحال هكذا لمدة من الزمن وكان عثمان يرسل البعوث إلى معاوية في أشخاص قوة عسكرية لإنقاذه من المأزق الذي هو فيه، وكان معاوية يمنيه ولايبعث إليه

أحد طمعاً في أنْ يقضي عليه القوم وبعد إلحاح عثمان ارسل قوة عسكرية أمر قائدها بملازمة حدود الشام وعدم التحرك عنها.

وأدركت عائشة أنّ نهاية عثمان باتت قريبة جداً فتركت المدينة إلى مكة وهي تأمل أن يكون الأمر بعد عثمان إلى طلحة أو الزبير.

وكان طلحة والزبير يتحركان على الناس على أمل أن يحضيا ببيعة الثائرين، في الوقت الذي كان الثائرون لا يطرحون سوى اسم أمير المؤمنين عليه السلام كمنقذ للامة مما ابتلت به.

وخرج عثمان للصلاة يوم جمعة فحصبه المعترضون بالحصى حتى سقط عن المنبر إلى الأرض.

وتناهى إلى الناس تحرك القوات الشامية نحو المدينة، فحصروا عثمان في قصره وطالبوه بالاعتزال وهو لا يجيبهم طمعاً بوصول النجدة الشامية، وبعد مضي أربعين يوماً على الحصار ويأس المعارضة من استجابة عثمان، قام غلام لمروان برمي حجارة على المحاصرين فقتل رجلاً من المصريين، فطالب المصريون بالقصاص فرفض عثمان إجابتهم فاقتتل المصريون مع حرس القصر، فأغلق الحرس الباب، وبعدها تسلق جماعة من المصريين دار عثمان وقتلوه.

أوضاع البلاد إبّان مقتل عثمان

أدّت سياسة عثمان إلى تفجير الأوضاع في ثلاث ولايات مهمة هي الكوفة والبصرة ـ وهتان الولايتان كانتا تمثلان المنفذ الذي يوصل بين عاصمة السلطة المركزية وشرق البلاد ـ ومصر ـ التي هي منفذ البلاد إلى القارة الأفريقية ـ.

وبعد أن قبض المصريون على غلام عثمان الذي أرسلته السلطة إلى عبد الله بن

أبي سرح خرجت مصر والكوفة عن سلطة الدولة المركزية تماماً حيث استقلت الكوفة ومصر في تعيين الولاة.

ففي الكوفة نصب الكوفيون أبا موسى الأشعري عاملاً على المصر، وفي مصر تولى محمد بن أبي حذيفة إدارة شؤون البلاد.

وبهذا لم يبق تحت سلطة الدولة المركزية إلاّ شبه جزيرة العرب واليمن والشام والبصرة التي لم يكن واليها قادراً على عمل شيء حيث أنّ جملة من أبنائها كانوا يشاركون في حصار عثمان.

أدرك عثمان وخامة الأوضاع التي يعيشها؛ لذا طلب من معاوية إرسال قوة عسكرية لقمع المصريين والكوفيين والبصريين، وعلى الرغم من طرح معاوية على عثمان الانتقال إلى الشام لكنه رفض ذلك لأنه كان يخشى أنّه في حال ترك المدينة إلى الشام خروج شبه جزيرة العرب واليمن عن سلطانه أيضاً وهو أمر محتمل جداً خصوصاً وإن الجميع يطالب باعتزاله الحكم، ولم يكن عثمان مستعداً لقبول هذه النتيجة.هذا على صعيد الوضع السياسي الذي كانت تعيشه الدولة.

وعلى صعيد الاتجاهات السياسية فالحركات المؤثرة في الساحة السياسية بعد أنْ كانت منحصرة في قريش وبني هاشم، اصبحت في هذه المدّة أربعة اتجاهات:

١ ـ الاتجاه الشيعي الذي في قمة هرمه أمير المؤمنين عليه السلام وقواعده في اليمن والكوفة والبصرة ومصر.

٢ ـ الاتجاه القرشي الذي تتزعمه عائشة بنت أبي بكر والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر.

٣ ـ الاتجاه الأموي والذي يتزعمه معاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم.

٤ ـ الثائرون ويمثلون القاعدة العريضة للبصريين والكوفيين والمصريين.

وبملاحظة الجرد المتقدم للحركات السياسية المؤثرة في الساحة الإسلامية يتضح أنّ سياسة عثمان أدّت إلى إيجاد حركتين لم تكونا من قبل، تتجت إحداهما من انشقاق الصف القرشي، والثانية من تلاعب رجال السلطة بأرواح الناس.

كانت ثلاثة من الاتجاهات السياسية تطالب عثمان باعتزال الحكم سواء من كان منهم يحاول إصلاح أمور المسلمين دون سفك الدماء كأمير المؤمنين عليه السلام أو من كان منهم يحاول كل جهده إغراء المحاصرين بالقضاء على عثمان وهم عائشة والزبير وطلحة، أمّا الاتجاه الأموي فلم يكن مؤيداً لاعتزال عثمان، وكان معاوية يرغب بانتهاء الأزمة بمقتل عثمان لأنه يدرك أنه وجميع الأمويين من وجهة النظر الشعبية والرأي الجماهيري العام لا يصلحون لتولي الحكم، بينما منافسوهم من المسلمين الأوائل، لذا فكفتهم أرجح، فمعاوية وكل بني أمية بحاجة إلى الحجة التي توصلهم إلى الحكم وليس الحجة إلاّ دماء عثمان، ولهذا السبب لما دعاه عثمان ومن يثق به من عماله طلب منه أنْ يرسل إليه قوة عسكرية تمكنه من القضاء على أبناء الولايات الثلاث، فأرسل معاوية قوة عسكرية وأمر قائدها أن يقف عند حدود الشام ولا يتقدم نحو المدينة، ثم جاء بنفسه إلى المدينة لدراسة الأحداث عن قرب، وفهم عثمان مغزى قدومه حيث كان معاوية يرمي من مجيئه إلى عثمان تحقيق الهدف المهم وهو الإسراع في القضاء على عثمان، لأنه بوصوله إلى المدينة ألقي إلى المعارضة مرابطة القوة الشامية في تبوك، وهذا يعني أنه في أيّ لحظة يمكن أن تتوجه تلك القوات إلى المدينة للقضاء على المعارضة، وهذا الخبر سيدفع المعارضة للإسراع في الوصول إلى ما تهدف إليه من إزالة عثمان عن السلطة لأن بقاءه ولو إلى حين وصول النجدة الشامية يعني القضاء عليهم، ولما كان عثمان لن يستجيب لمطالبهم في التنحي عن السلطة ولانتظاره نجدة معاوية فالمعارضة ستكون مضطرة للقضاء عليه، كما أنّه ليس من البعيد أن يكون معاوية قد

دبر مع مروان بن الحكم الإسراع في قتل عثمان عن طريق إثارة المعارضين[1]، وكان مروان قد نهض بهذا الدور في أيام الحصار مرات متعددة.

وحصل كل ما خطط له معاوية وأصبح دم عثمان المسوغ لمعاوية لتولي الحكم فيما بعد. فإذن يمكن القول إنّ سياسة عثمان أدّت إلى شرخ الوحدة القرشية من جهة وإلى ظهور الرأي العام بوصفه قوة مؤثرة في الأحداث إلى درجة كبيرة، وإنْ لم تكن حركة سياسية ذات منهجية خاصة.

الأوضاع بعد قتل عثمان

عند مقتل عثمان[2] كانت الاتجاهات السياسية الأربعة المؤثرة في الساحة

---

١ ـ جاء في تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٧٠ في كلام جرى بين الأشعث بن قيس الذي كان أحد مبعوثي الوفد الكوفي الذي أرسله أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية:

(إني قد فهمت ما رددت على ابن محصن إنه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب إنك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم الا قولك قتل إمامكم مظلوماً فنحن نطلب بدمه فاستجاب له سفهاء طغام وقد علمنا أنّ قد أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ورب متمني أمر وطالبه الله عزوجل يحول دونه بقدرته وربما أوتي المتمني أمنيته وفوق أمنيته ووالله مالك في واحدة منهما خير لئن أخطأت ما ترجو أنك لشر العرب حالاً في ذلك ولئن أصبت ما تمنى لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلى النار فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله).

٢- الإيضاح ص ٤٧٤، بحار الأنوار ج ٢٣ص ٧، ج ٣٢ص ٧، ٣٤، نهج السعادة ج١ ص ٢١٨، ج٥ ص٢٢١، السنن الكبرى ج ٨ ص ١٨٤، تاريخ مدينة دمشق ج٥٠ ص١٧٧، تاريخ الطبري ج٣ ص٤٥١، تاريخ ابن خلدون ق٢ ج٢ ص ١٧٨، الكنى والألقاب ج ١ص ٣٦٢، كامل الزيارات ص ١٥٥، الفصول المختارة- الشيخ المفيد ص ٢٢٧، مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٧٥، الصراط المستقيم ج ١ ص ١٤٩، الصوارم المهرقة ص ٩٥، الغدير ج ١٠ص ٢٤، مستدرك سفينة البحار - ج ٦ص ٦١٨، ج ٨ ص ١٠٥، معالم المدرستين ج١ص ١٤٢، أحاديث أم المؤمنين عائشة ج ١ص ١٧٣، ١٧٤، المستدرك ج ٣ ص ١١٥، الفتنة ووقعة ←

السياسية متواجدة في العاصمة وهذا يعني ان قرار تنصيب الخليفة بيد أقوى هذه الاتجاهات، لذا لابد من ملاحظة مدى قوة كل واحد من هذه الاتجاهات.

أمّا قريش فكانت في حال ضعف شديد، فعثمان أبعدهم عن المشاركة في إدراة البلاد ولم تكن حركتهم السياسية المنفصلة عن بني أمية قد مضى عليها زمن طويل لتتبلور نظريتهم السياسية ويكون لهم أتباع ومريدون، إذ كانوا يعدون من المنظوين تحت اتجاه السلطة الحاكمة حتى زمن عثمان الذي سحب البساط من تحت أرجلهم، لذا كانوا يحاولون كسب المؤيدين من محاصري عثمان ولكنهم لم يظفروا بشيء لذا انقسموا إلى ثلاث فئات:

الأولى: حاولت الوصول إلى الحكم عن طريق التحالف مع الشيعة، ويرأسهم الزبير وطلحة.

الثانية: اعتزلت وآثرت انتظار تغير الظروف؛ علّها تصب في صالحها، وعلى رأسهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر.

وأمّا الشيعة فهم على ماهم عليه من القوة ووحدة الصف والارادة الصادقة والانقطاع والوفاء لأهل البيت عليهم السلام وهم لا يرضون بأمير المؤمنين عليه السلام بدلاً.

وأمّا الفئة الثالثة فحاولت التحرك المضاد للحكم الجديد للوصول إلى الحكم وعلى رأسهم عائشة.

أمّا الأمويون فأنهم كانوا يسعون للوصول إلى السلطة ما أمكنهم إلى ذلك سبيلاً.

أمّا الاتجاه السياسي الرابع ـ المعارضة الجماهيرية ـ فكان أمامه أحد ثلاثة خيارات:

الجمل ص ٩٤، شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج ٤ص ٨، كنز العمال ج ٥ ص ٧٤٩، الثقات ج ٢ص ٢٦٧، تاريخ اليعقوبي ج ٢ص ١٧٨.

الأول: اللجوء إلى بني أمية، وهذا الخيار في قوة المحال فهم قد رأوا من جور بني أمية وسوء إدارهم ما دفعهم إلى الثورة عليهم، فالارتماء في أحظانهم يعني عودهم إلى ما ثاروا عليه، بل ولن ينتهي الأمر إلاّ بالقضاء عليهم.

الثاني: الالتجاء إلى قريش بالانضمام إلى طلحة والزبير، والرجلان ليس لهما موقع حقيقي في نفوس الثائرين ولم يكن لهما موقف سابق يخرجهما عن حيز أتباع السلطة، بل هما في نظر الثائرين من اركان الحزب القرشي ولم يكن بين الثائرين والرجلين سوى المصلحة المشتركة في ازالة عثمان عن سدة الحكم مِن دون أنْ تكون هناك وحدة في الرؤى، وسعد أسوء حالاً منهما إذ سبق له أنْ تولى الكوفة آيام عمر فطالب أهل الكوفة بعزله عن ولايتها، وأهل الكوفة يمثلون ثلث المعارضة.

الثالث: الانضواء تحت لواء أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان شيعته يشيرون إليه ويبينون للأُمة سموه ومبدأيته ونبل غاياته وأهدافه وما يتحلى به من الكمالات التي لا توجد في غيره، وهو شريك المستضعفين في آلامهم وأول من وقع عليه الظلم بعد وفاة النبيﷺ.

وفي مثل هذه الحالات في تاريخ الأمم يكون القرار في تعيين السلطة الجديدة اما بيد الثائرين أو القوى المتكافئة على الساحة السياسية وحيث أنّ القوى ذات التأثير كانت تتمثل في بني أمية والثائرين وقريش والشيعة وكان بنو أمية يصنفون أعداءً للاتجاهات الأُخَر وكانت قريش ضعيفة جداً، لذا كان من الطبيعي بعد عدم تصدي الشيعة لتعيين الحاكم أن ينحصر أمر تعيين الخليفة بيد الثائرين الذين كانوا ممثلين عن أبناء ولاياتهم في عملية اختيار الخليفة، لذا تميزت السلطة الجديدة بأنها قد تم انتخابها من قبل ممثلي أهم الولايات الإسلامية حيث تم انتخابها من قبل الأنصار والمهاجرين وممثلو البصرة والكوفة ومصر، وهذه الحالة الفريدة من انتخاب الأمّة لمن يحكمها ويقودها لم تقع إلاّ مع أمير المؤمنين وولده الإمام الحسن عليهما السلام.

الفصل الخامس

الدولة العلوية

بعدما تقدم من عرض الظروف التي كانت تمر بها القوى السياسية تنادي الثائرون لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأسرع طلحة والزبير وبدافع تأمين أطماعهما المستقبلية بالتحالف مع الشيعة إلى بيعة أمير المؤمنين عليه السلام فكانا أول من بايعه.

ولم يتخلف عن البيعة من المهاجرين وأبنائهم سوى سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، الذين لما جِيء بهما إلى البيعة ورفضا لم يكرههما أمير المؤمنين عليه السلام.

وكذا لم يبايع من الأنصار جماعة، ذكر المؤرخون منهم حسان بن ثابت وزيد بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة، روى الطبري ذلك عن عبد الله بن الحسن وأضاف إليهم أبي بن كعب، وهو بعيد جداً لما هو معروف من ولاء أبي لأهل البيت عليهم السلام.

وروى عن الزهري تخلف قدامة بن مضعون وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة عن البيعة.

بينما يروي الشيخ المفيد قدس سره وروى الطبري أيضاً أنّ أحداً من المهاجرين والأنصار لم يتخلف عن البيعة وأنّ التخلف كان عن المسير إلى حرب الجمل.

تحديات الدولة العلوية

لم تكن الدولة العلوية دولة قهر وظلم، أيّ لم يكن هم قادتها وسراتها في عهد أمير المؤمنين عليه السلام التمتع بالمراكز القيادية للدولة والانتفاع الشخصي والفئوي بامتيازات الحكم، بل كانوا يحملون مبادئ غاية في السمو ويسعون ما أمكنهم لإقامة حكم الله تعالى على الأرض، ولهذا السبب كانت الدولة العلوية دولة إصلاحية جاءت لإصلاح المجتمع الإسلامي على الصعيد الداخلي ليتم بإصلاحه إصلاح العالم.

وكانت هناك مجموعة من التحديات تواجه المشروع الإصلاحي أهمها:

١ـ ذوو الأطماع الذين دفعتهم أطماعهم للدخول فيما دخل فيه الناس، وهؤلاء ما لم يضمنوا تحقيق مصالحهم في الدولة الجديدة فهم سيقومون ويوحي تحقيق مصالحهم ومنافعهم الخاصة بالكثير من الأعمال التي من شأنها أن تؤثر سلباً على المسيرة الإصلاحية.

٢ ـ ذوو الأطماع الذين لم يدخلوا فيما دخل فيه الناس وهم على قسمين، الأول لهم أتباع ومريدون ويتمتعون بسلطة قائمة وتحت أمرتهم قوات عسكرية وهم بنو أمية وأتباعهم، والقسم الثاني ليس لهم سوى امكانيات محدودة وعلى رأسهم عائشة بنت أبي بكر.

٣ ـ المتحجرون وهم الشخصيات المتنسّكة قشرياً والجاهلة جهلاً مركباً، وهم يشكلون عائقاً عظيماً في وجه إصلاحات الدولة العلوية.

٤ ـ الانحراف المتأصل بسبب محاولات أصحاب الأهواء والبِدع طمس معالم الإسلام الحنيف وتحريفه بما يخدم مصالحهم.

القوى السياسية وتأثيرها في الساحة الإسلامية

أهم القوى السياسية التي كانت على الساحة الإسلامية ايام البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام:

١ـ الشيعة والذين أصبحوا بعد البيعة الحزب الحاكم للدولة بعد أن كانوا الحزب المعارض طيلة السنوات التي أعقبت وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهم جل المهاجرين والأنصار وبنو هاشم وعدد غفير من قبائل اليمن التي سكنت البصرة والكوفة ومصر وعلى رأسها قبائل مذحج وربيعة وهمدان.

٢ ـ الحزب الأموي الذي كانت قواعده قد ضربت بجذورها في الشام، ولهم أنصار في مصر والبصرة.

٣ ـ الحزب القرشي المتضعضع الأركان المتصدع البنيان، وعلى رأسه عائشة وطلحة والزبير.

لما علم عمال عثمان بقتل صاحبهم وتولي أمير المؤمنين عليه السلام للحكم وهم على معرفة تامة بمنهج أمير المؤمنين عليه السلام الداعي إلى إقامة العدل والإنصاف، وقد بلغهم قيامه عليه السلام باستعادة كل ما تلاعبت به السلطة من الأموال العامة إلى بيت المال، وأنّه سيقوم بتعيين ولاته على الأمصار، فخشوا أن يقوم بمصادرة كل ما تحت أيديهم من الأموال وإعادتها إلى بيت المال فتركوا ما في أيديهم من أعمال وأرادوا التوجه إلى الشام بعد أن أخذوا كل ما في بيوت الأموال من الدنانير والدراهم وعلى رأسهم يعلي بن منيه والي اليمن وعبد الله بن عامر بن كريز والي البصرة. بينما قام معاوية باستنفار قواته العسكرية وأعلن الإنذار العسكري تحسباً للطوارئ.

وأما أحوال الولايات الأُخَر:

فالكوفة كانت ترفض الحزب الأموي والقرشي معاً لذلك انتخبوا أبا موسى الأشعري لولاية الكوفة بعد ثورتهم على سعيد بن العاص.

ومصر تولى إدارتها محمد بن أبي حذيفة رضوان الله عليه بعد أن منعوا عبد الله بن أبي سرح من العودة إليها.

وعلى الرغم من وجود أنصار للحزب الأموي في البصرة إلا أنّ عبد الله بن عامر لم يكن من القوة بحيث يتمكن من السيطرة على أوضاع البصرة لو وقع فيها اضطراب.

تطورات الأوضاع السياسية قبل معركة الجمل

استقبلت الولايات العمال الذين أرسلهم أمير المؤمنين عليه السلام إليها عدا الكوفة والشام حيث أصر الكوفيون على إبقاء أبي موسى الأشعري والياً على الكوفة مع قبولهم لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام.بينما رفض الشاميون خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وقرروا الدفاع عن معاوية.

وفي هذه المدّة كان طلحة والزبير يحاولان الحصول على امتيازات في دولة أمير المؤمنين عليه السلام فإنهما إنما بايعاه راغبين في الوصول إلى غاياتهما، فطلبا إليه أن يوليهما البصرة والكوفة فرفض أمير المؤمنين عليه السلام ذلك، فعادا بعد ذلك وطلبا منه أن يجعل لهما ميزة خاصة في الأموال العامة، فلم يرض بذلك ايضاً، فعلم الرجلان أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يتعامل معهما كما يتعامل مع سائر المسلمين، وهذا يعني أنهما لن يصلا إلى ما كانا يطمحان إليه من البيعة.

وفي هذا الوقت كانت عائشة في مكة، وكانت قد خرجت إليها أيام حصر عثمان بعد أن علمت أنّه مقتول لا محالة، وكانت تتصور أنّ الخلافة لن تعدوا طلحة أو الزبير

فهما أشد الناس على عثمان، حيث كان طلحة بنفسه شاكاً في السلاح ومع المحاصرين وهو الذي دعا إلى منع وصول الماء والطعام إلى دار عثمان وكذلك كان دور الزبير، وهذا الحضور الواضح للرجلين في حصار عثمان والتأليب عليه سيكون داعياً للثائرين لمبايعة أحدهما، وكانت وهي في مكة تؤلب الناس على عثمان وتعدد عيوبه، فلما بلغها قتل عثمان لم تشك في وصول طلحة أو الزبير إلى كرسي الحكم خاصة وإن الذي نقل إليها نبأ قتل عثمان أنبأها ان طلحة اتخذ الأقفال على أبواب بيت المال.

فرحلت إلى المدينة وفي الطريق بلغها نبأ بيعة المهاجرين والأنصار والثائرين وطلحة والزبير أمير المؤمنين عليه السلام فوقع الخبر عليها وقع الصاعقة فعادت إلى مكة مصممة على إسقاط حكم أمير المؤمنين عليه السلام الذي تعدّه خروجاً عن المخطط القرشي الذي شاركت في حياكة كل تفاصيله مع رؤوس الانقلابيين على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ومنظريها منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

لم يكن لعائشة مسوغاً قانونياً لرفض الخلافة الجديدة ولهذا السبب اتخذت قتل عثمان ذريعة لإعلان المعارضة، في الوقت الذي كانت وإلى يوم سماعها خبر تولي أمير المؤمنين عليه السلام للحكم تصف عثمان بالكفر والفساد وترى ضرورة القضاء على حكمه وهي التي رفضت الاستجابة لطلب مروان في البقاء في المدينة لقدرتها على الإسهام في دفع الخطر عن عثمان.

وهكذا عادت عائشة إلى مكة وأخذت تعد العدة لإثارة الأوضاع ضد أمير المؤمنين عليه السلام، وبعد علمها ببيعة طلحة والزبير أمير المؤمنين عليه السلام لم يبق لها بد من العمل بمفردها لتهيئة الأوضاع للثورة على أمير المؤمنين عليه السلام وبسبب الضعف المطلق الذي يحيط حركتها السياسية لجأت إلى التحالف مع الحزب الأموي الذي يتزعمه معاوية بن أبي سفيان، فكانت الدعوة إلى الأخذ بثأر عثمان علامة المودة

لمعاوية وحزبه الذي كانت بالأمس من أشد الناس عليه.

وعلم معاوية بموقف عائشة وتوقع أنْ يلتحق بها طلحة والزبير لطمعهما بالحكم فأمر من كان في جزيرة العرب من زعماء الحزب الأموي بشقيه السفياني والمرواني باستثمار موقف عائشة لصالح الحزب الأموي ومحاولة درأ الخطر عن الشام.

فالتحق بعائشة سعيد بن العاص ومروان بن الحكم ويعلي بن منية وعبد الله بن عامر.

وهكذا، فالدعوة للأخذ بثأر عثمان منحت عائشة عدة مكاسب:

١ ـ كسب التأييد الأموي وعقد تحالف أموي ـ قرشي، يسعى للقضاء على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ تقديم المسوّغ القانوني للرأي العام ومحاولة كسبه إلى جانب التمرد على الخلافة الحقة.

٣ ـ إخفاء الدوافع الحقيقية للتمرد تلبيساً على الناس لكسب البعض من جهة وتحييد البعض الآخر لورود الشبهة عليه بحيث يتردد في الوقوف إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ إحراج موقف أمير المؤمنين عليه السلام حيث لا يمكنه تسليم قتلة عثمان لأن قاتل عثمان غير مشخص ولم يشترك جميع الثائرين في قتله ليقادوا به، كما أنّ عائشة ليست لها أهلية المطالبة بدم عثمان لعدم إحرازها لصفة قانونية تؤهلها لهذا النحو من المطالبة، كما أنّه عليه السلام يعلم أنّ المطالبة بدم عثمان مجرد لعبة سياسية الهدف منها شق صف أنصار أمير المؤمنين عليه السلام فإن المسببين الحقيقيين لقتله عائشة وطلحة والزبير ومعاوية ومروان بن الحكم.

وفي هذه المدّة علم طلحة والزبير بمشروع عائشة الرامي إلى القضاء على دولة أمير المؤمنين عليه السلام فاستأذنا أمير المؤمنين عليه السلام في العمرة فلم يأذن لهما فألحّا عليه فأخذ عليهما العهود والمواثيق أن لا ينكثا البيعة ولا يغدرا ولا يمزقا صف الأمة ولا يفرقا المسلمين فحلفا له على ذلك، فأذن لهما وتوجها إلى مكة ونقضا أيمانهما والتحقا بعائشة.

ولما كان موقفهما تجاه عثمان أشهر من نار على علم، دعيا أنهما كانا مخطئين في موقفهما من عثمان وأنهما تائبان إلى الله تعالى عما بدر منهما تجاهه وهما يعتقدان أنّ التوبة لا تتم إلاّ بالمطالبة بدمه.

وفي هذه المدّة التحق بعائشة عدد من الشخصيات الأموية التي أمرها معاوية بالالتحاق بالناكثين لتقديم الدعم اللازم لهم والسيطرة على الأوضاع عن قرب ورسم مسير الأحداث بما يصب في صالح الحزب الأموي.

اجتمع زعماء التحالف الأموي ـ القرشي لاتخاذ الموقف المناسب فاقترح بعضهم التوجه إلى المدينة وخوض الحرب وإسقاط الدولة العلوية، ولكن أصحاب الخبرة منهم رفضوا ذلك لأن المدينة في هذا الوقت فيها عدد غفير من الكوفيين والبصريين والمصريين والمهاجرين والأنصار الذين بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام فضلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام الحاضر بينهم، وهذا يعني إخفاق حركتهم العسكرية لا محالة، فاقترح البعض منهم التوجه إلى الشام فلم يرض الأمويون بذلك، وكذا لم يناسب الاقتراح ذوق طلحة والزبير لأنه يعني كونهم في سلطان معاوية في الوقت الذي كانا يريدان الاستقلال بالأمر، واقترح آخرون السير إلى الكوفة فرفض اصحاب الرأي منهم السير إليها لأن اهلها بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام وأهلها لا يدينون بالولاء للحزب القرشي ولا لبني أمية، وأبو موسى وإن كان في الكوفة ولكن الفتق والرتق بيد زعمائها لا بيده.

فاقترح عليهم عبد الله بن عامر بن كريز التوجه إلى البصرة لأن فيها أتباع له فقرَّ رأيهم على ذلك. ومن هذا السرد التاريخي تتضح جملة من الحقائق:

١ ـ فقدان الحزب القرشي للتأييد الشعبي، لذا اضطروا إلى الاستفادة من موقع عائشة الاجتماعي للتلاعب بأفكار الرأي العام، والتحالف مع بني أمية لحشد أتباع الأمويين وقدراتهم البشرية والمالية لصالح الناكثين.

٢ ـ سعي معاوية لدرء الخطر عن الشام ما أمكن، لذا كتب إلى الزبير بعد أن بلَغه أنه بايع أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قد بايع له في الشام ولطلحة من بعده، فكان ذلك حافزاً للرجلين في الالتحاق بعائشة في مكة.

فمعاوية وبنو أبيه كانوا يسعون لدرء الخطر عن الشام؛ لذا لم يقدم معاوية أيّ معونة للمعسكر القرشي مريداً بذلك إيقاع الشقاق بين الولايات التي دانت بالطاعة لأمير المؤمنين عليه السلام وزرع الفتنة في مختلف بقاع الدولة.

٣ ـ سعي الأمويين لفرض أنفسهم بوصفهم حليف مقتدراً مؤثراً في الأحداث بما يخدم اهدافهم على الأمد البعيد بسبب تمتعهم بقدرات مالية وعسكرية جيدة.

وفي هذا الوقت كان أمير المؤمنين عليه السلام يعد العدة للتوجه إلى الشام للقضاء على تمرد معاوية، فوصلته أنباء تحركات الناكثين وتوجههم إلى البصرة.

وفي الوقت نفسه سعى معاوية للسيطرة على مصر وضمها إلى ملكه قبل وصول قيس بن سعد رضوان الله عليه إليها، ولكن محمد بن أبي حذيفة رضوان الله عليه ناوش قواته القتال حتى مضى شهيداً ووصل قيس رضوان الله عليه إلى مصر من دون أن يتمكن معاوية من فتحها.

ضمت قوات عائشة القرشيين الذين يمثلون الامتداد الطبيعي للحزب القرشي الذي فتته سياسة عثمان القبلية، وانظم إليهم عمال عثمان والمنتفعين من حكمه،

بالإضافة إلى بني أمية الذين كانوا يسعون إلى تحقيق هدفين استراتيجيين أحدهما القضاء على دولة أمير المؤمنين عليه السلام والثاني التمهيد لسيطرة بني أمية على مسند الحكم.

وكان جيش الناكثين قد جهز بأموال اليمن التي جاء بها عبد الله بن أبي ربيعة عامل عثمان على صنعاء ويعلي بن منية عامله على الجند.

ويستمد قوته الشعبية من عائشة التي تتمتع بموقع خاص بسبب كونها زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ودعوى تحركه كانت الطلب بدم عثمان.

وبعد أن اتخذ الناكثون قرارهم بالتوجه إلى البصرة حاول قادة التآمر دعوة السيدة أم سلمة رضوان الله عليها للتوجه معهم إلى البصرة وطلبت عائشة من حفصة السير معها، فاستجابت حفصة لطلب عائشة، إلاّ أنّ أخاها عبد الله بن عمر منعها.

أما السيدة أم سلمة رضوان الله عليها فإنها رفضت دعوتهم بشدة، وطلبت من عائشة ترك عداوة أمير المؤمنين عليه السلام وإلغاء عزمها على السير إلى البصرة؛ لأن سيرها ابتغاء الفتنة وسفك الدماء وهتك الحجاب الذي أمرها الله تعالى به، إلاّ أنّ الاخيرة لم تستجب لنصحها.

ولما رأت السيدة أمّ سلمة رضوان الله عليها عزم القوم على تنفيذ مخططهم أعلنت في مكة أنّ ما يقوم به الناكثون فاقد المسوّغات الشرعية وأبطلت مدعياتهم في تبرير الثورة على أمير المؤمنين عليه السلام وبينت أنّ الزبير وطلحة تلزمهم البيعة على وفق الموازين الإسلامية لأنهما بايعا طوعاً ولم يصدر من أمير المؤمنين عليه السلام ما يسوّغ نكث بيعته والخروج عليه، وإنّ عائشة بخروجها تخالف القرآن وتهتك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما سمع الناس كلمات السيدة أم سلمة رضوان الله عليها تخلف عن الناكثين جملة من الناس.

وتخلف عنهم أيضاً سعيد بن العاص لأنه رأى أنّ قادة الناكثين يريدون أن يكون الأمر

إليهم ولا يعيدونه في بني أمية، بينما التحق بهم مروان وكان هدفه من الإلتحاق بالناكثين الإسهام في إدارة الأمور بالنحو الذي يضمن مصالح بني أمية لو كتب لهم النصر، والثأر لعثمان إن أمكنه ذلك إذ كان أحد شهود قتل عثمان ويعلم اكثر من غيره أين محل الثأر.

البصرة في تخطيط الناكثين

كانت البصرة بالنسبة لقادة الناكثين ذات أهمية خاصة وعمق استراتيجي هام، ذلك لأنهم يعلمون أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لن يدعهم وتحركهم المضاد لدولته فعليهم الإسراع في العمل قبل أن تستتب له الأمور، ولما كان معاوية قد بايع للزبير وطلحة في الشام ووعدهم النصرة، والكوفة يمكن مد نفوذهم إليها لو سيطروا على البصرة، فالتوجه إلى البصرة يشكل الخطوة الأولى في بناء دولتهم التي لن ترى النور مالم يتم القضاء على الدولة العلوية. ثم إنّهم إن استطاعوا احتلال البصرة قبل أن يداهمهم أمير المؤمنين عليه السلام فإنها ستكون لهم ملجأ امناً خاصة بعد أن يلتحق بهم الموالون لعبد الله بن عامر كما أنهم سيوفرون المال اللازم لتحركهم العسكري بالسيطرة على خزينة الدولة المودعة في بيت المال، في الوقت الذي تكون فيه قوات أمير المؤمنين عليه السلام قد أرهقها السفر الطويل من الحجاز إلى البصرة، مع وجود أبي موسى الأشعري في الكوفة الذي سيخذل الناس لو دعاهم أمير المؤمنين عليه السلام للالتحاق به لخوض الحرب، ومعه لن يكون مع أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ من خرج بهم من الحجاز وهم عدد قليل يمكن أن تطحنهم بسهولة القوات العسكرية المدربة التي في البصرة، هذا في حال تعقب قوات الدولة للناكثين، وأمّا إذا كف عنهم أمير المؤمنين عليه السلام وبقي في المدينة وجهوا إليه الجيوش حتى يتم لهم القضاء على دولته.

توجه الناكثون إلى البصرة مسرعين وفي الطريق نبحت الكلاب عائشة فسألت عن اسم المنطقة التي نبحتها كلابها فقيل الحوأب، فولولت وأمرت بردها لأن النبي صلى

الله عليه وآله وسلم حذرها من هذا المسير.

وأدرك عبد الله بن الزبير حراجة الموقف فجاءها بأربعين رجلاً شهدوا أنّ الدليل أخطأ وأنّ المنطقة ليست الحوأب !!

واستمر الناكثون في سيرهم حتى وصلوا إلى البصرة، فعلم عثمان بن حنيف رضوان الله عليه ـ عامل أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة ـ بوصولهم فأرسل إليهم يستكشف حالهم فعاد إليه رسولاه يخبرانه بعزم القوم على إسقاط حكومة أمير المؤمنين عليه السلام وإنّ احتلال البصرة اولى خطوات تحركهم.

ومع عزم أمير المؤمنين عليه السلام للتصدي لحركة الناكثين جاءه أسامة بن زيد ـ أحد أذناب الحزب القرشي ـ وطلب منه ترك التوجه إلى قتال الناكثين واعتزال الأمر، فرده عليه السلام ولا يبعد أن تكون حركة أسامة هذه قد دُبّرت بينه وبين المتآمرين من القرشيين والأمويين.

كانت حركة الناكثين تمثل تهديداً جدياً للدولة العلوية، فالناكثون في البصرة وأبو موسى في الكوفة ومعاوية في الشام، والتواني سيؤدي إلى تفاقم الأوضاع في أرجاء البلاد المترامية الأطراف.

ولما عزم أمير المؤمنين عليه السلام على السير إلى البصرة أشار عليه بعض أصحابه أن يصطحب السيدة أم سلمة رضوان الله عليها كما اصطحب الناكثون عائشة، فأبى عليه السلام أن يهتك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعند خروجه من المدينة أبدت تألمها لذلك وصرحت أنّه لولا أنّ الله تعالى أمر نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقرار في بيوتهن لسارت معه، فجزاها عليه السلام خيراً[1].

---

١ ـ كانت السيدة أم سلمة رضوان الله عليها تحضى بموقع خاص عند اهل البيت عليهم السلام وكانت محل ثقتهم وموضع اماناتهم حيث اودعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ←

تحرك جيش أمير المؤمنين عليه السلام إلى الربذة لقطع الطريق على الناكثين حيث كانت تمر القوافل بين العراق ومكة، ولكن القوم كانوا قد فاتوه. فأسرع عليه السلام إلى ذي قار وعسكر فيها، وبعث ولده محمد بن الحنفية وربيبه محمد بن أبي بكر رضوان الله عليهما إلى الكوفة لاستنهاض الناس للنصرة فوجدا أبا موسى على ما يكرهان، وكان يخذّل الناس عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام ويطلب من الناس اتخاذ موقف الحياد.

عاد المبعوثان أدراجهما وأخبراه بموقف أبي موسى، فأرسل إلى الكوفة الإمام الحسن عليه السلام وعمار بن ياسر وعبد الله بن عباس رضوان الله عليهما فدار بينهم وبين أبي موسى جدال طويل انقسم فيه أهل الكوفة بعض إلى جنب الوفد وبعض يقولون بمقالة أبي موسى.

كان مالك رضوان الله عليه يتمتع بموقع جيد في الكوفة وله عشيرة قوية كثيرة العدد تقف إلى جنبه و يعلم بما تنطوي عليه سريرة أبي موسى وما هو السبيل الناجع لمنع تماديه فاستأذن أمير المؤمنين عليه السلام في التوجه إلى الكوفة لحسم الأمر فأذن له، وما هو إلاّ أن دخل الأشتر رضوان الله عليه الكوفة حتى فر منها أبو موسى.

ألقى مالك رضوان الله عليه خطاباً في أهل الكوفة دعا فيه إلى اجابة أمير المؤمنين عليه السلام وحذرهم من أنّ الناكثين إن انتصروا عاد الأمر بيد بني أمية وعاد إليهم فسَقتهم فاتفقت، كلمة الناس وهيأوا للالتحاق بالجيش.

أمّا الناكثون فإنهم علموا باستقرار قوات أمير المؤمنين عليه السلام في ذي قار

التربة التي جاءها به جبرئيل عليه السلام من كربلاء وأودعها الإمام الحسين عليه السلام أماناته عند خروجه إلى الكوفة، وفي بيتها نزلت آية التطهير، ولها مواقف مشرفة تجاه أهل البيت عليهم السلام وخلص شيعتهم.

وأنه أرسل إلى الكوفة يطلب النصرة، فأسرعوا في اقتحام البصرة.

وأمّا البصريون فإنهم انقسموا إلى ثلاث فرق فرقة مع عثمان بن حنيف رضوان الله عليه وفرقة مع الناكثين وفرقة التزمت الحياد.

تصدى عثمان رضوان الله عليه بمن معه من المؤمنين للناكثين واندلعت الحرب وقتل عدد كبير من الفريقين فضلاً عمن جرح، ثم تدخل الناس وعقد الفريقان هدنة كان بموجبها المسجد وبيت المال ودار الإمارة تحت تصرف عثمان رضوان الله عليه ويختار الناكثون ما شاءوا من مناطق البصرة لاستقرارهم لحين قدوم أمير المؤمنين عليه السلام.

وثق الناس بما أعطاه الناكثون من عهود إلاّ أنّ الناكثين كانوا قد اتخذوا من الهدنة فرصة للغدر بعثمان وأصحابه فما إن جنّ الليل حتى قامت قوات الناكثين بالهجوم على حراس بيت المال وأسرهم ثم قتلهم صبراً بيد الزبير بن العوام، واقتحموا دار عثمان رضوان الله عليه واقتادوه أسيراً ونتفوا شعر لحيته حتى لم يبق منها شعره وحاجبيه وأشفار عينيه بأمر طلحة وأرادوا قتله لكنهم خشوا أن ينتقم أخوه سهل بن حنيف رضوان الله عليه والي المدينة من ذويهم إن هم قتلوه فحبسوه ثم خافوا أن يحبس سهل رضوان الله عليه ذويهم فأطلقوه فالتحق بأمير المؤمنين عليه السلام.

ولما سيطر الناكثون على بيت المال ورأو ما فيه من الأموال صرح طلحة والزبير بأولويتهم من غيرهم بها، وإنها مما وهبها الله اياهم، وأراد طلحة أن يختم بيت المال بختمه فمنعه الزبير وأراد هو الآخر أن يختم بيت المال بختمه فمنعه طلحة وتنازعا، فبلغ الخبر عائشة فأمرت أن يختم كلاً منهما وأن يختم عبد الله بن الزبير نيابة عنها، وهذه الخطوة دالة على فقدان الثقة بينهم ومحاولة كل واحد منهم السيطرة على الأوضاع لصالحه، ولولا وجود عائشة وسلطتها عليهم بسبب حاجتهم إليها لكان لحديثهم شكل آخر.

وفي صبيحة اليوم التالي اجتمع الناس في المسجد منتظرين عثمان بن حنيف ليصلي حيث لم يبلغهم نقض الناكثين للهدنة إلاّ أنهم فوجئوا بتقدم طلحة والزبير كل منهما يريد أن يصلي بالناس وتدافعا حتى كادت الشمس أن تشرق وتصايح الناس ووصل الخبر عائشة فأمرت أن يتناوب في الصلاة عبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة.

ولما علمت عبد قيس بما جرى على عثمان رضوان الله عليه انتدب حكيم بن جبلة رضوان الله عليه بمن معه من المؤمنين للدفاع عن عثمان رضوان الله عليه فدارت بينهم وبين الناكثين معركة انتهت بشهادة حكيم بن جبلة رضوان الله عليه وأخيه وعدد كبير ممن معه ونتج عن ذلك ترك عبد قيس البصرة وعسكروا خارجها بانتظار قدوم أمير المؤمنين عليه السلام.

وهكذا انقسم البصريون إلى ثلاث فئات، فئة مع عائشة والناكثين، وفئة مع أمير المؤمنين عليه السلام وفئة اختارت الاعتزال وهم على قسمين:

١ـ من لم يرد الاشتراك في الأمر وهم الأزد وسيدهم كعب بن سور قاضي عمر على البصرة.

٢ ـ بنو سعد من بني تميم ورأسهم الأحنف بن قيس بعد أن أخبر أمير المؤمنين عليه السلام انه ان كان إلى جنبه تبعه بضع مئات من قومه، وإن اعتزل القتال أغمد أربعة الآف سيف من تميم فأمره عليه السلام بالاعتزال.

وبعد أن فرض الناكثون سلطتهم على البصرة بعثت عائشة إلى المدينة واليمامة والكوفة والشام بكتبها تخبرهم بتطورات الأوضاع في البصرة وإنها في سلطتهم وإن معاوية بايع لهم في الشام ودعتهم إلى النصرة قبل أن يصل إليهم أمير المؤمنين عليه السلام واستبشرت حفصة برسالتها وأظهرت السرور وأمرت جواريها بضرب الدفوف فرحاً بانتصارات الناكثين فتصدت لها السيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام ـ

وقيل السيدة أم سلمة رضوان الله عليها[1].

ولم تمض مدّة حتى وصلت القوات الكوفية إلى ذي قار وزحف بها أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة، ولما وصلها أرسل مبعوثيه إلى رؤساء الناكثين يدعوهم للعودة إلى الطاعة، فأبوا ذلك وأصروا على حربه فأرسل إليهم ثانياً فأبوا عليه.

وعلم الناكثون باختيار كعب بن سور الاعتزال فأرسلوا إليه ليلتحق بهم فأبى ذلك وعلم الرجلان أن كعباً إن لم يلتحق بهم فإنهم يخسرون المعركة لأن الأزد ستتخلف عنهم بتخلفه فأخبرا عائشة بحراجة الموقف، فأرسلت إليه تدعوه للنصرة فأبى عليها ثم قصدته بنفسها فاستحيا وأجابها. وانضمت الأزد إلى الناكثين لالتحاقه بهم.

والتقى الفريقان وعبّأ كل واحد منهما قواته وأرسل أمير المؤمنين عليه السلام إليهم مرة أخرى يدعوهم لحقن دماء المسلمين فظنوا أنّ ذلك إنما كان لضعفه وقوتهم فأبوا أن يقبلوا دعوته، ثم طلب أن يقوم أحد أفراد عسكره بأخذ المصحف ودعوتهم إليه وأخبرهم أنّ الذي يقوم بذلك يقتل وضمن له الجنة فقام شاب اسمه مسلم وأخذ المصحف ودعاهم إلى ما فيه فأمرت عائشة بقتله فقتلوه برماحهم.

ثم رشق جيش الناكثين جيش أمير المؤمنين عليه السلام بالسهام وقتل أحد الكوفيين بسهام القوم، فاندلع القتال بين الطرفين ولم يمض على القتال مدّة حتى كانت الهزيمة في الناكثين، ولما خشي الناكثون على عائشة أحاطوا بالجمل واستبسلوا في الدفاع عنه، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بعقره فلما وقع فر القوم وانتهت المعركة.

وعندما أحسّ مروان بن الحكم بفرار الناس وقعت عينه على طلحة فرماه بسهم فأصاب منه مقتلاً فمات بسببه بعد ذلك.

---

١ ـ الكافئة- الشيخ المفيد ص ١٦، الصراط المستقيم ج ٣ص ١٦٩، الجمل- ضامر بن شدقم المدني ص ٣٢، كتاب الأربعين- محمد طاهر القمي الشيرازي ص ٦٢٧، نهج السعادة ج١ ص٢٧٣، الإمام علي عليه السلام- أحمد الرحماني الهمداني ص ٧٥٣.

أمّا الزبير فإنه اعتزل القتال بعد أن ذكّره أمير المؤمنين عليه السلام بحادثة وقعت له معه ايام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتبعه عبد الله بن جرموز وقتله قرب سفوان.

ولما هزم القوم نادى مناد أمير المؤمنين عليه السلام أنّ لا يجهزوا على جريح ولا يتبعوا مدبراً وأن اموال أهل البصرة وذراريهم ونساءهم محترمة وان الغنيمة فيما حواه العسكر فقط، وأسر جماعة من قوات الناكثين فأمر عليه السلام باطلاق سراح من لم تقم البينة على أنّه قتل أحداً من أصحابه.

ثم دخل عليه السلام البصرة وفتح بيت مالها ولما رأى ما فيه من أموال قال يا بيضاء يا صفراء غري غيري، ثم قسّم المال فيمن معه من المقاتلة وأخذ كنصيب أحدهم ثم جاءه رجل من عسكره سقط اسمه من الديوان فأعطاه عليه السلام سهمه.

وبعد أن استتب الأمر أمر عليه السلام عائشة بالعودة إلى المدينة فامتنعت فأرسل إليها أنها إن لم تخرج طائعة أرسل إليها نساء من بكر بن وائل يؤدبنها، فأجابت إلى الخروج إلى المدينة وأرسل معها أربعين امرأة في ثياب الرجال لحراستها.

وبعد ذلك نصب عبد الله بن عباس والياً على البصرة، وتركها متوجهاً إلى الكوفة.

نتائج حرب البصرة

كانت النتيجة الأولى لحرب البصرة انتهاء الحزب القرشي وإلى الأبد، ولم يعد له دور سياسي فاعل على ساحة الأحداث، وحتى عبد الله بن الزبير مع محاولته المستميتة للوصول إلى الحكم لم يكن يتحرك بعد ذلك على أساس فكرة الحزب القرشي بل استعار نظرية الملك الوراثي الأموية، وكان له ذلك بعد هلاك يزيد بن معاوية أي بعد ما يقارب سبع وعشرين سنة من واقعة الجمل.

والنتيجة الثانية سحب معاوية القوات التي أرسلها لضم مصر إلى الشام تحسباً للطوارئ خصوصاً بعد وصول قيس بن سعد رضوان الله عليه عاملاً عليها.

والنتيجة الثالثة توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة وزيادة احتمالية اندلاع الحرب بينه وبين المعسكر الشامي.

والنتيجة الرابعة الآثار النفسية العظيمة التي كسبها أنصار أمير المؤمنين عليه السلام بسبب النصر الذي حالفهم في المعركة والمنافع المادية التي عادت إليهم، والأهم من ذلك ما لمسوه من شجاعة قائدهم وحسن تدبيره وزهده بحطام الدنيا وسعة حلمه وغزارة علمه وتفانيه في ذات الله تبارك وتعالى مما كشف لهم وجود خصوصيات فيه لم يعهدوها فيمن سبقه من الحكام.

وقعة الجمل في الإعلام المعادي لأمير المؤمنين عليه السلام

في المدّة المتأخرة عن حرب الجمل ارتأى محرفو التاريخ التلاعب بالحقائق التاريخية خدمة لأغراضهم السياسية الضيقة الأفق، وكانت محاولاتهم تنصب على الدفاع عن الناكثين - وبغض النظر عن التوجهات الفقهية التي دعت القوم إلى سلوك مذاهب غريبة في الدفاع عن الناكثين - فإنهم من الناحية التاريخية وفي محاولة لحرف الحقائق سلكوا طريقين:

١- ادعاء أنّ الناكثين كانوا دعاة لإصلاح أمر الأمة وقد وافقوا على الصلح مع أمير المؤمنين عليه السلام ولكن قبل أن يتم الفريقان عقد الصلح تراشق جهلة العسكرين بالنبل ووقع القتل في المعسكرين مما أدّى إلى نشوب الحرب من دون سبق إرادة من قادة العسكرين.

٢- الإدعاء الثاني بالإضافة إلى ما بني عليه الإدعاء الأول من محاولة تنصيع وجه

الناكثين، محاولة الطعن بعسكر أمير المؤمنين عليه السلام واتهام خلص أصحابه كمالك الأشتر رضوان الله عليه بالعمل على إيقاع الحرب بين الفريقين بدعوى استجابته لدعوة عبد الله بن سبأ الذي أغراهم بتبييت عسكر الناكثين، لأن رؤساء العسكرين سيوقعون معاهدة الصلح مما سيدفع أمير المؤمنين عليه السلام إلى قتلهم انتقاماً لدم عثمان بن عفان.

وهذه المحاولة المسمومة تهدف إلى رفع مسؤولية عثمان بن عفان وبني أمية عن كل ما ارتكبوه من سوء إدارة دفع الأمة للثورة عليهم من جهة، ومن جهة أخرى فيه محاولة للطعن على التشيع بدعوى أنه من تأسيس عبد الله بن سبأ، ولكن الحقيقة على عكس ذلك تماماً فعبد الله بن سبأ ـ الذي يذهب بعض المؤرخين إلى كونه شخصية أسطورية لا وجود لها وإنما خلقتها الدوافع السياسية ـ لم يذكره المؤرخون ولم تذكر هذه الشخصية إلاّ في كتابات السري إلى الطبري في تاريخه[١] ويغلب الظن أنّ السري استعار شخصية عمار بن ياسر رضوان الله عليه لتكون شخصية عبد الله بن سبأ، ذلك لأن نشاط ابن السوداء ـ كما يُطلق على ابن سبأ ـ شرع مع التحرك ضد استهتار الجهاز الأموي الحاكم أيام عثمان في مصر.

والذي يؤيد اختلاق هذه الشخصية لأسباب سياسية عدم تركيز المؤرخين عليها في احداث تلك المدّة مع ذكرهم لمن لم يكن له إلاّ فعل واحد كمسلم الذي حمل المصحف بين العسكرين يوم الجمل، وأمّا الذين لهم أدوار بارزة في أحداث تلك الأيام كعمار ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة ومالك الأشتر وعثمان بن حنيف

---

١ ـ الذي يقرأ تاريخ الطبري يجد بوضوح أنّ أغلب ـ إن لم يكن كل ـ ما يتفرد السري في روايته يكون على خلاف مايرويه عامة المؤرخين وتشم منه بوضوح رائحة السياسة المنحرفة فلم يكن زعماء التحرك في مصر سوى عمار ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة رضوان الله عليهم ولم يكن بينهم أسود إلاّ عماراً رضوان الله عليه.

وحكيم بن جبلة وغيرهم من المؤمنين رضوان الله عليهم وعثمان بن عفان والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وابيه وطلحة وابنه محمد وكعب بن سور وأضرابهم فكتب التاريخ مشحونة بالحديث عنهم أيضاً، فلِمَ يا ترى لم ينصف المؤرخون ابن سبأ واكتفوا بإنصاف السري إياه مع عدم وجود أي مسوّغ موضوعي لترك الحديث عنه؟؟!!

اختيار الكوفة عاصمة للدولة العلوية

بعد انتهاء معركة الجمل نصب أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس والياً على البصرة، وتوجه إلى الكوفة لتصبح بذلك عاصمة الدولة للمرة الأولى في تاريخها.

كان سبب اختيار الكوفة عاصمة لدولته عليه السلام يعود إلى عدة أسباب:ـ

١ ـ الموقع الجغرافي للكوفة حيث أنها تقع في وسط الدولة الإسلامية مما يجعل عملية الإتصال بباقي أطراف الدولة أمراً أكثر يسراً.

٢ ـ إنّ أكثر الشيعة موجودون في الكوفة حيث أنّ عدد اليمنيين في الكوفة كبير جداً وأهم قبائلهم مذحج وربيعة وهمدان ذات الأغلبية الشيعية، نعم لم يكن كل أهل الكوفة شيعة بل لم تكن الغالبية شيعية فهم لم يشكلوا في عهد أمير المؤمنين عليه السلام سوى سبع سكان الكوفة.

٣ ـ تمتع الكوفة بقدرات عسكرية وكفاءات قتالية عالية، لأن الكوفة كانت مقراً للقوات التي أخذت على عاتقها توسعة رقعة الدولة بإتجاه الشرق من حين تمصيرها في السنة الخامسة عشرة من الهجرة، فالكوفة في حقيقتها محطة لاستراحة القوات العسكرية شأنها في ذلك شأن البصرة.

٤ ـ توفر إمكانيات اقتصادية كبيرة في الكوفة بسبب خصب أرضها ووفرة المياه فيها بسبب مرور الفرات في أراضيها حتى كانت تسمى بأرض السواد بسبب شدة الخضرة في أرضها.

٥ ـ التهديد الذي يشكله الحزب الأموي الذي اتخذ الشام مقراً له. فمعاوية الذي كان يُعدّ زعيم التحرك الأموي بعد القضاء على عثمان لم يأل جهداً في زعزعة أمن دولة أمير المؤمنين عليه السلام حيث دعم حركة الناكثين وحاول استغلال الظرف السياسي الصعب ـ الذي واجهته الدولة المركزية أيام احتلال البصرة من قبل أصحاب الجمل ـ لضم مصر إلى سلطته ولكن المقاومة الباسلة التي أبداها محمد بن أبي حذيفة ومن معه رضوان الله عليهم أفشلت مخططه، وكانت هذه الخطوة منه كاشفة عن نزعته في التوسع والرغبة في السيطرة على مقاليد الأمور، وكانت الشام تتمتع بقدرات عسكرية ومالية كبيرة شأنها في ذلك شأن البصرة والكوفة فهذه القدرات إذا ضم إليها دهاء معاوية ومكره خاصة وإنّ عمرو بن العاص إلى جنبه وهو من دهاة العرب، فبُعد أمير المؤمنين عليه السلام عن مركز نفوذهم يعني تعريض أمن الدولة للخطر الشديد، وأما وجوده عليه السلام بالقرب منه فإنه يحجم من تحرك معاوية ويمكن معه الإسراع في القضاء عليه.

أوضاع الشام

كان توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة وتأمير قيس بن سعد رضوان الله عليه على مصر مقلقاً لمعاوية مما دعاه لاتخاذ تدابير أمنية شديدة خشية تعرض سلطته للخطر.

كان معاوية يدرك حراجة الموقف ذلك لأن أمير المؤمنين عليه السلام يعدّ وجود معاوية في السلطة خطراً يهدد المصلحة العليا للإسلام، وهو يعلم أنّ أمير المؤمنين عليه

السلام لا يداهن في دينه وهذا، يعني أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لن يتوانى في القضاء عليه.

وكان على معاوية أنّ يتخذ جملة من التدابير لضمان الوضع الداخلي في الشام للتمكن من التصدي لأمير المؤمنين عليه السلام فيما إذا زحف إليه بأهل الكوفة، ومن تلك التدابير:

١ ـ ضمان ولاء زعماء القبائل، لأن للزعامات القبلية دوراً مهماً في تحديد ولاءات القبيلة السياسية، وكان معاوية ولمدّة طويلة من الزمن يعمل على كسب ولاء الزعامات القبلية عن طريق تخصيصهم بالهدايا والأعطيات وتمييزهم على سواهم متبعاً في العطاء سياسية التمييز الطبقي والقومي مما ضمن ولاء زعامات القبائل العربية التي سكنت الشام.

٢ ـ ضمان الولاء الجماهيري وفي سبيل تحقيقه سلك سبيلين:

أ ـ استغلال دم عثمان استغلالاً جيداً لكسب ولاء الجماهير الشامية.

ب ـ بذل الأموال وكسب العواطف.

٣ـ توفير الغطاء الشرعي لحركته السياسية، ووفّر هذا الغطاء باستمالة بعض الشخصيات الاجتماعية المهمة في الشام بالإضافة إلى شرائه مواقف جماعة ممن عاصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأبي هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والنعمان بن بشير الأنصاري وبعض أبناء الشخصيات القرشية كعبد الرحمن بن أبي بكر وعبيد الله بن عمر وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

٤ـ إغلاق الشام إعلامياً بحيث لا ينتشر في الشام من الأنباء إلاّ ما يخدم مصالح معاوية.

ما قبل صفين

من أولويات سياسة أمير المؤمنين عليه السلام حقن دماء المسلمين والتحرز عن سفكها ما أمكن ذلك، ولهذا لم يعاجل معاوية ولم يعلن الحرب سريعاً، بل أرسل إليه الوفود والشخصيات السياسية لإقناعه لترك تعنته والدخول فيما دخلت فيه الأمة، ولكن معاوية وبسبب رغبته الشديدة في حفظ موقعه الذي سيؤهله فيما بعد ليكون الحاكم العام لبلاد المسلمين واحتوائه على الشام بكل مقدراتها العسكرية والمالية قرر عدم الاستجابة لطلب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان معاوية في سبيل ضمان وقوف الشاميين إلى جنبه إلى النهاية يُمنّي قادتهم ويعدهم أنّ لهم الزلفى والمنزلة العليا إن تمكن من دفع غائلة الجيش الكوفي، وقد عملت تلك الوعود عملها في زعماء القبائل مما دفعهم للوقوف مع معاوية إلى النهاية.

وبعد يأس أمير المؤمنين عليه السلام من استجابة معاوية على الرغم من كثرة المراسلات والوفود قرر اللجوء للخيار العسكري.

كان إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة الكثير من الأنصار والمهاجرين وشخصياتهم المهمة وأرسل إلى من لم يكن منهم في الكوفة فالتحق به عبد الله بن عباس ومؤمنو البصرة، كما التحق به قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج بعد أنّ نصب محمد بن أبي بكر رضوان الله عليه بدلاً عنه والياً على مصر، وسبب هذا التغيير الإداري كون سعد رضوان الله عليه زعيماً للأنصار وفي أيام الحرب يكون وجود زعيم القبيلة مهماً جداً، فكان وجود سعد رضوان الله عليه إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام مهماً جداً لسببين مهمين:

الأول: الحفاظ على معنوية الأنصار وهم يرون زعيمهم القبلي إلى جنبهم، والثاني: ما يتمتع به قيس رضوان الله عليه من همة عالية وفكر ثاقب.

حاول بعض المؤرخين تشويه هذه الحقيقة مدعياً أنّ السبب الحقيقي وراء عزل قيس رضوان الله عليه خشية أمير المؤمنين عليه السلام من تواطئه مع معاوية ورفضه الاستجابة لقتال أهل خربتا الذين لم يدخلوا في بيعة أمير المؤمنين عليه السلام مع التزامهم بكل مانفرضه عليهم حقوق المواطنة، ولكن هذه الدعوى باطلة لأن سياسة أمير المؤمنين عليه السلام كانت تبتني على حفظ حق المواطن ما دام ملتزماً بواجباته ولم يخل بأمن البلد، وهذه المنهجية كان يتبعها عليه السلام مع الخوارج مع انسلاخهم عن بيعته واتهامهم إياه بالكفر فلم يهجهم بشيء، بل حتى لما تجمعوا لم يسر إليهم حتى سفكوا الدماء واستحلوا الحرمات.

وبعد إن تمت الاستعدادات العسكرية توجه أمير المؤمنين عليه السلام بجيشه إلى الشام، وفي المقابل قام معاوية بتجهيز قواته للتصدي لأمير المؤمنين عليه السلام.

معركة صفين

بعد أن يأس أمير المؤمنين عليه السلام من استجابة معاوية لدعوته في ترك التعنت والإنابة إلى الحق قاد جحافل الكوفة والبصرة ومن كان معه من الأنصار والمهاجرين وتوجه إلى الشام، وفي الوقت نفسه قاد معاوية عساكر الشام لخوض غمار الحرب ضد الجيش العراقي.

وكان الموعد في صفين وهناك ظهر جلياً الفرق بين القيادتين والجيشين، حيث كان معاوية أمر أصحابه بعد إن ملكوا المشرعة أن يمنعوا جيش الكوفة من شرب الماء، بينما امر أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه بعد إن ملكوا المشرعة بعد حرب دامية أن لا يمنعوا أهل الشام من ورود الماء، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يدعوا القوم إلى الطاعة على الأسس التي بُني عليها الإسلام، في الوقت الذي كان معاوية يصر على الحرب إلاّ في حال حصول أمرين:

الأول: دفع المتهمين بقتل عثمان إلى أهل الشام ليقتلوا.

والثاني: اعتزال أمير المؤمنين عليه السلام الحكم وترك الأمر شورى للأمة تختار من شاءت.

ومعاوية يعلم أنّ كلا الأمرين لا يمكن أن ينفذ لأن الأول يعني دفع من لم تقم عليه البينة إلى معاوية الذي لم يراع طرائق المطالبة المشروعة في القضاء الإسلامي للطلب بالقصاص بل نصّب نفسه للحكم مع عدم الأهلية، والثاني يعني الاستهانة بالأمة التي أجمعت على بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وهم أهل المدينة والبصرة والكوفة ومصر وباقي أمصار الدولة الإسلامية سوى الشام[١].

وكان أهل الكوفة يعلمون أنّ الغاية الأساسية لمعاوية لم تكن طلب دم عثمان[٢]

---

١ - روى الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٢: (أن معاوية بعث إلى علي حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأخنس فدخلوا عليه وأنا عنده فحمد الله حبيب وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه كان خليفة مهدياً يعمل بكتاب الله عز وجل وينيب إلى أمر الله تعالى فاستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه رضي الله عنه فادفع إلينا قتلة عثمان إن زعمت أنك لم تقتله نقتلهم به ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم فقال له علي بن أبي طالب وما أنت لا أم لك والعزل وهذا الأمر، اسكت فإنك لست هناك ولا بأهل له، فقام وقال له والله لتريني بحيث تكره فقال علي وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك لا أبقى الله عليك إن أبقيت على أحقره وسوءا اذهب فصوب وصعد ما بدا لك).

٢ - روى الطبري في تاريخه في ج٤ ص١٢: (أن يزيد بن قيس الأرحبي حرض الناس فقال إن المسلم السليم من سلم دينه ورايه وإن هؤلاء القوم والله إن يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيعناه وإحياء حق رأونا أمتناه وإن يقاتلوننا إلا على هذه الدنيا ليكونوا جبابرة فيها ملوكاً فلو ظهروا عليكم لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً لزموكم بمثل سعيد والوليد وعبد الله بن عامر السفيه الضال يجيز أحدهم في مجلسه بمثل ديته ودية أبيه وجده يقول هذا لي ولا إثم علي كأنما أعطى تراثه عن أبيه وامه وإنما هو مال الله عز وجل أفاءه علينا بأسيافنا
←

بل البقاء في السلطة وكشفت الأيام هذه الحقيقة إذ بعد استتباب الأمر لمعاوية ترك الحديث عن عثمان ودمه.

وفي الوقت الذي كان في جيش أمير المؤمنين عليه السلام خيرة من عاصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخيار التابعين كعمار بن ياسر وهاشم المرقال وسعد بن قيس بن عبادة وعدي بن حاتم الطائي ومالك الأشتر وكميل بن زياد الذين حملوا راية الدفاع عن المظلوم والوقوف في وجه الظالم ومن له أثر حسن في تاريخ الإسلام، كان في جيش معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعبيد الله بن عمر بن الخطاب والنعمان بن بشير وأضرابهم الذين يمكن لمن تتبع تأريخهم الشخصي والعائلي يقف على الكثير من الخفايا التي حاولت التوجهات السياسية التغطية عليها وتنصيع الصور وتلميعها.

وفي الوقت الذي كانت دلائل الحق كلها إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام كان أتباع جيش معاوية يأنسون بالتأويلات غير المقبولة التي كان يقدمها لهم معاوية كما حصل عند شهادة عمار لما ادعى أنّ قاتله من أخرجه للحرب لا مَن قتله بعد أن تشوّش الجيش الشامي لانتشار الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ عمار تقتله الفئة الباغية.

وبعد ان اصطف الجيشان وتبودلت الرسل بين الطرفين لم يبق بد من الخيار المسلح بعد أن وصل الحل السلمي إلى طريق مسدود، واندلعت الحرب بين الطرفين ودامت أشهراً عدّة إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام يسعى أن لا تستأصل قوات

وأرماحنا فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله ولا يأخذكم في جهادهم لوم لائم فإنهم إن يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وهم من قد عرفتم وخبرتم وايم الله ما ازدادوا إلى يومهم هذا إلا شراً).

الطرفين لذا كان المناوشات بين أفواج من العسكرين لا بين العسكرين بتمام قوهما حتى ليلة الهرير التي التحم فيها الجيشان بكامل قدراهما العسكرية وأخذت بشارات النصر بزوال طاغية الشام تلوح في الأفق وأدرك معاوية قرب نهايته فأعد فرسه للهرب وفي الليلة ذاها دعا أمير المؤمنين عليه السلام معاوية للمبارزة حقناً لدماء الناس فأبى أن يستجيب له خوفاً على نفسه من القتل.

وفي هذه اللحظة العصيبة من تاريخ جيش الشام دبر ذهن عمرو بن العاص الشيطاني فكرة رفع المصاحف التي أوقعت الخلاف في صفوف الجيش الكوفي.

كان لرفع المصاحف أثر مهم في الإبقاء على معاوية وحزبه حيث استجاب لهم جمع كبير من الجيش الكوفي الذين انطلت عليهم الحيلة وظنوا أنّ أهل الشام يريدون حقاً التحاكم إلى القرآن الكريم، وحاول أمير المؤمنين عليه السلام وذوو البصائر من أصحابه ردع أهل الكوفة عما توهموه لمنع انطلاء الخدعة عليهم، إلا أنهم لما كانت الحرب قد عظتهم وفقدوا العديد من رجالاهم المهمين حاولوا التخلص من لهيب الحرب بهذه الطريقة فأكرهوا أمير المؤمنين عليه السلام على قبول التحكيم وجردوا السيوف في وجهه وهددوا بترك المعسكر أو تسليمه إلى معاوية فاضطر عليه السلام للاستجابة إلى مطاليبهم خوفاً من وقوع الفتنة والحرب في صفوف أهل الكوفة.

ولم تكتف العناصر الكوفية ذات التوجهات والنزعات المناوئة لأمير المؤمنين عليه السلام من أكرهه على وقف الحرب بل استمرت الضغوط بعد ذلك بشكل أكبر مما أدّى إلى إضعاف الموقف السياسي للكوفيين،وكان من المقرر تعيين الحكمين الذين سيوكل إليهما تقرير أمور الحكومة والصلح فاختار معاوية عمرو بن العاص وأراد أمير المؤمنين عليه السلام أن يجعل عبد الله بن عباس ممثلاً لأهل الكوفة، فأبى المنحرفون عن أمير المؤمنين عليه السلام ذلك ورشحوا أبا موسى الأشعري أحد أبرز المخالفين لأمير

المؤمنين عليه السلام ليكون ممثلاً عنهم ورفض أمير المؤمنين عليه السلام اقتراحهم وطلب أن يكون الأشتر ممثلاً عنهم فرفضوا ذلك أيضاً، وهكذا كان القرار الكوفي مستقلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام في الوقت الذي كان القرار الشامي لا يخرج عن رأي معاوية ويعود ذلك لأسباب موضوعية تتعلق بتاريخ الكوفة والشام وعلاقتهما مع الولاة حيث كان معاوية قد أمضى في الشام عشرين عاماً والياً عليها من قبل الحكام الثلاثة ووسع عثمان سلطته لتعم الشام بأجمعه، وكان الوحيد من ولاة عمر الذي لم تناله قراراته التي كان يهدف من خلالها للسيطرة على الولاة ومنع تمتعهم بالقدرة التي من شأنها أن تؤهلهم للتمرد والعصيان، فمدّة الحكم الطويلة وفسح المجال له للتصرف كيف شاء في أمور ولايته مهد له سبل تمتين العلاقات مع زعماء القبائل والشخصيات الاجتماعية، وكانت الأموال التي تُجبى إليه من ولاية الشام الغنية عاملاً مهماً في توطيد تلك العلاقات، حتى إنّه لما أراد أن يخوض الحرب ضد أمير المؤمنين عليه السلام لم يواجه مشكلة حيث كانت الزعامات القبلية الشامية على وفاق تام مع معاوية، كما أنّ الجهاز الإعلامي في الشام كان خاضعاً له تماماً، وكان قد سعى جاداً لمنع أي نشاط إعلامي في الشام لايرتبط به لذلك كان كلما أنفذ إليه عثمان أحد المعترضين على سلطانه يسارع في الكتابة إلى عثمان طالباً منه إبعاده عن الشام لئلا يفسد الناس عليه كما حصل مع أبي ذر الغفاري رضوان الله عليه وشخصيات الكوفة الذين نفاهم عثمان إلى الشام بطلب من سعيد بن العاص.

وعمد معاوية إلى العامل النفسي في تبرير خوض الحرب حيث ادعى قتل عثمان ظلماً وهو ولي دمه ويريد أن يقتص لدمه وأنّ قاتله أمير المؤمنين عليه السلام فعلق قميصه على منبر مسجد دمشق وحشد وعاظ البلاط لدعوة الناس للبكاء على عثمان والطلب بثأره، ثم عزز موقفه الإعلامي بدعوة شرحبيل بن السمط الكندي أحد

الشخصيات الشامية المرموقة ذات الأصل اليمني للوقوف إلى جنبه ودعوة الناس لقتال أمير المؤمنين عليه السلام فأجابه إلى ما أراد.

فمعاوية كان قد ضمن الوضع العسكري والسياسي والمالي والاجتماعي في الشام.

ولهذه لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام هذه المرة أمام عدو ضعيف ليست له جذور ممتدة في المنطقة التي يريد الانطلاق منها لخوض الحرب ضده، كما هوالحال في الناكثين، كما أنّ معاوية لدهائه ومكره ضَمَّ إلى جنبه جملة من دهاة العرب أحدهم الداهية المعروف عمرو بن العاص.

وأمّا أهل الكوفة فالأمر فيهم مختلف تماماً حيث لم تعش الكوفة وضعاً مستقراً مع الولاة فأول ولاتها سعد بن أبي وقاص الذي طالب الكوفيون عمر بعزله وعمار بن ياسر الذي أبلغ أهل الكوفة عمر بنشره فضائل أمير المؤمنين عليه السلام والدعوة اليه، وأنّه الأولى بشؤون المسلمين من كل أحد فساء ذلك عمر فعزله، ثم نصب أبا موسى الأشعري فطلب الكوفيون عزله لأنه يتلاعب بالكلأ فيبيعه ويستخلص المال لنفسه مع أنه مباح للجميع فعزله ونصب المغيرة بن شعبة عاملاً عليها، فقتل عمر وهو عليها ـ على الرغم من قصة زناه بإم جميل أيام ولايته البصرة ـ ثم ولاها عثمان الوليد الفاسق فساءت سياسته أهلها حتى نزعوا خاتمه من يده في صلاة الصبح وهو ثمل وقد قاء الخمر في محراب المسجد فشكوه إلى عثمان فلم يسمع قولهم وأراد إيقاع العقوبة بهم فتدخل أمير المؤمنين عليه السلام وأمره بعزل الوليد وإقامة الحد عليه فاضطر عثمان تحت ضغوط أمير المؤمنين عليه السلام والشخصيات المدنية إلى عزله ونصب سعيداً بن العاص الذي جرت مشادات كلامية بينه وبين سراة الكوفة وزعمائها القبليين فطلب سعيد من عثمان أن ينفيهم عن الكوفة، فنفاهم إلى الشام وهناك خشي معاوية أن

يؤثروا في الناس بسبب تعريضهم بسياسة التمييز العنصري التي يتبعها بنو أمية فنفاهم إلى قنسرين حيث عبد الرحمن بن خالد بن الوليد الذي أساء إليهم كثيراً فتركوا المنفى ورجعوا إلى الكوفة وحرضوا الناس على سعيد.

وفيها تحركت وفود الاستنكار من الكوفة والبصرة ومصر مطالبة بإصلاح اوضاع الدولة وكان سعيد بن العاص ممن دعاهم عثمان لمناقشة كيفية التصدي للتحرك الجماهيري فقرر أهل الكوفة عزل سعيد ونصب أبي موسى عاملاً على الكوفة.

ومن هنا نجد أنّ الشخصية الكوفية كانت لا تتمتع بانسجام مع الولاة وكان عمر بن الخطاب يدرك هذه الحقيقة لذلك كلما شكوا عاملاً من عماله عزله عنهم مِن دون أن ينظر في صحة دعواهم، وهذه الحقيقة أدركها معاوية بن أبي سفيان لذلك أوصى لولده يزيد أن يستجيب لطلب أهل الكوفة في عزل الولاة فلو طلبوا منه في كل يوم عزل والٍ لَفعل.

فعلى طيلة عشرين سنة من تأسيس الكوفة اعتاد الكوفيون على نقد الولاة والتعريض بهم وعزلهم مما أوجد فجوة شديدة بين الوالي والرعية وحالة من فقدان الثقة بالولاة.

كما كان لأهل الكوفة اتجاهات مختلفة ولدتها السياسات السابقة على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فبعضهم يرى الولاء لعمر بن الخطاب والسير على نهجه حتى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما أراد إلغاء بدعة الجماعة في التراويح تنادى الناس واسنة عمراه، والبعض الآخر من الذين كانت تربطهم بحكومتي عمر وعثمان مصالح خاصة نشأت عن التمييز العنصري الذي أوجده عمر وسار عليه عثمان والغاه أمير المؤمنين عليه السلام فكان ذلك سبباً في ضياع امتيازات كانوا يتمتعون بها في تلك العهود فأوجد ذلك في قرارة أنفسهم معارضة لحكم أمير المؤمنين عليه السلام وكان جل

المتضررين من عدل أمير المؤمنين عليه السلام الزعامات القبلية ذات النزعات الفئوية والشخصية.

وعلى العكس من هؤلاء كان هناك أناس قد ملأ الإيمان قلوبهم فكان كل ما يصبون إليه أن تعلو راية الدين الحنيف وان كان ذلك مضراً بمصالحهم الدنيوية الآنية ومن أبرز تلك الشخصيات مالك الأشتر وحجر بن عدي وميثم التمار وكميل بن زياد وزيد بن صوحان العبدي رضوان الله عليهم.

قصة الحكمين

التقى الوفدان في المدة المقررة، وكان الوفد الشامي متماسكاً تظهر قوة التراص بين أفراده، بينما كان الوفد الكوفي متزعزعاً لا يستطيع موفد أمير المؤمنين عليه السلام أن يتخذ قراراً ولا أن يبعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً إلاّ وأصرّ الكوفيون على الإطلاع على كل صغيرة وكبيرة فيه مما ادى إلى إرباك وضع الوفد الكوفي وإفشاء أسراره، وكل ذلك سببته العوامل التي تقدم ذكرها.

وبعدها اجتمع ممثل الكوفة الأشعري مع داهية قريش عمرو بن العاص السهمي، واتفقا على عزل أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية وترك الأمر شورى تختار الأمة من تشاء.

وأراد أبو موسى من عمرو أن يتقدم ويرقى المنبر ليخبر الناس بذلك ثم يتبعه هو، وكان ابن عباس قد أوصى أبا موسى أن لا يتقدم عمرواً، ولكن الأخير خادعه ورفض أن يتقدمه رعاية لسنه وصحبته.

انطلت الحيلة على أبي موسى الأشعري، وأخبر الناس بخلعه لأمير المؤمنين عليه السلام ثم صعد عمرواً المنبر وأخبر الناس أنه خلع أمير المؤمنين عليه السلام وأقرّ معاوية

على الخلافة فسبه أبو موسى وتضارب الفريقان وتجادلا.

وهكذا انتهى اللقاء بين الفريقين مِن دون أن يسفر عن أية نتائج إيجابية، لكن كان له وقع كوقع الصاعقةعلى رؤوس أهل الكوفة الذين علموا بفعلة ابن العاص إنهم كانوا من الغباء بالدرجة التي ضيعوا على أنفسهم فرصة ذهبية في صفين.

وهكذا عاد الكوفيون يمزقهم الألم مع شعور كبير بالخيبة والانكسار وأثّرت النكبة تأثيراً سلبياً في الجهلة الذين شهروا سيوفهم ضد أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين فعادوا إلى الكوفة يطالبون نقض الهدنة ومباشرةالحرب فوراً.

وكان طلبهم هذا يدل على جهلهم المركب حيث أنّ الهدنة حدد لها زمن معين ولم تعلق على شيء، وعدم وصول الحكمين إلى نتيجة لا يعني أنّ الهدنة قد نقض شرطها، فرفض أمير المؤمنين عليه السلام طلبهم، فخرجوا يدعون الناس لتكفير أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية.

معركة النهروان

استمالت دعوة المارقين جملة الجهلة الذين يعملون بحسب قناعاتهم التي لا يمر زمن قصير حتى يثبت لهم بطلانها.

لم يشأ أمير المؤمنين عليه السلام التعرض لهم اتباعاً لمنهجه عليه السلام في رعاية الحرية السياسية فما دام القوم يحترمون سيادة الدولة ولم يرتكبوا جنايات ومخالفات قانونية فلا مسوّغ لإهاجتهم.

وتصرمت أيام الهدنة ولم يبق منها إلاّ أيام يسيرة فدعا أمير المؤمنين عليه السلام الناس للتهيؤ لغزو الشام، وبعث مالك الأشتر رضوان الله عليه إلى مصر ليكون والياً عليها، وعلم معاوية ببعث مالكاً رضوان الله عليه لمصر فأقلقه ذلك كثيراً لأنه

سيحاصر من الجانبين، وفكر وأصحابه بإرسال قوة عسكرية للقضاء على مالك لكنهم عدلوا عن ذلك واختاروا بدل ذلك دس السم إليه.

كانت شهادة مالك سبباً في تفكير معاوية الجدي في السيطرة على مصر لأن فيها محمد بن أبي بكر رضوان الله عليه الذي يمكن أن يسبب لهم مشاكل كثيرة لو وقعت الحرب فكتب معاوية لأهل خربتا فأجابوه باستعدادهم لخوض الحرب معه، فبعث بقوات يقودها عمرو بن العاص، وكاتب محمد رضوان الله عليه أمير المؤمنين عليه السلام يخبره بمجريات الأحداث فأخذ عليه السلام يدعو الناس للتهيؤ لإنقاذ مصر، لكن قوات معاوية تمكنت من احتلال مصر وقتل محمد رضوان الله عليه وأنصاره بسبب إبطاء أهل الكوفة عن الاستجابة لأمير المؤمنين عليه السلام.

وبعد سقوط مصر بيد قوات ابن العاص لم يبق بد من خوض الحرب ضد معاوية بأهل العراق فأمر عليه السلام أهل الكوفة بالتهيؤ للقتال.

تهيأ الناس وبينما هم على أهبّة التحرك بلغهم قيام الوارج بقتل حباب بن الأرت - عامل أمير المؤمنين عليه السلام - وشق بطن أمّ ولده وقتل نساء من طيء، فبعث أمير المؤمنين عليه السلام رسولاً لمعرفة واقع الحال فقتلوه.

بعد قيام المارقين بسفك دماء المسلمين أصبحوا يشكلون خطراً حقيقاً يهدد أمن الدولة من الداخل ويشكل جبهة داخلية أشد خطراً من الشام، وهذا الخطر يجب استأصاله قبل التوجه إلى الشام.

ذهب عليه السلام بالقوات إلى النهروان وبعث الوفود إلى القوم يدعوهم إلى التوبة والرشد وتسليم القتلة وترك الشقاق، ورفع راية أمان وأمن من عاد إلى الكوفة أو توجه إلى المدائن وترك العسكر، فتفرق أكثر الناس بعد أن احتج عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه وأمنوهم إلاّ من أفسد في الأرض منهم، وبقي عدة منهم رفضوا

الإنابة إلى الرشد فوقعت الحرب بينهم وبين الطرفين فقضي عليهم ولم يبق منهم إلاّ عدد قليل فروا هاربين، ليقوموا بعد ذلك بإثارة الفتن حيثما وجدوا مما سبب إرباكاً لدولة أمير المؤمنين عليه السلام حيث أنّه كان يضطر بين آونة وأخرى لإرسال قوات تطارد المفسدين من المارقين[1].

عاد أمير المؤمنين عليه السلام من النهروان وأمر المقاتلة بالتجمع بالنخيلة وأن لا يدخلوا الكوفة حتى يزحفوا إلى الشام وبعث إلى عبد الله بن عباس ان يلتحق به بقوات من البصرة.

أوضاع الدولة بعد سقوط مصر

كان سقوط مصر بيد معاوية سبب لتغير الخارطة السياسية والعامل النفسي للكوفيين والشاميين في آن واحد.

وكان معاوية يعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لن يتركه وشأنه، لذا حاول إشغال أمير المؤمنين عليه السلام بالفتن الداخلية وإثارة المشاكل في أطراف الدولة التي ما تزال تحت سلطة أمير المؤمنين عليه السلام.

---

١ . للترابط في الحقبة الزمنية بين واقعة صفين والنهروان جعلت مصادرهما معاً.
كتاب سليم بن قيس ص ٣٣٤، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج ٢ص ٣٥٢، العمدة ص٣٢٩، ٥، الروضة في المعجزات والفضائل ص ١٥٩، الصراط المستقيم ج ١ص ١٦٤، عوالي اللئالي ج ١ص ٤١٢، وصول الأخيار إلى أصول الأخبار ص ٧٨، كتاب الأربعين ص٤٢١، حلية الأبرار ج ٢ ص ١٧٨، بحار الأنوار ٢٢ ص ٤٥٩، شجرة طوبى ج ٢ص ٣٣٨، الغدير ج ٢ص ١٤٦، نهج السعادة ج ٨ص ٤٧٣، الإمام علي عليه السلام ص ٧١٩، مواقف الشيعة ج١ص ١٦٤، المعيار والموازنة ص ٢١٠، شرح نهج البلاغة ج ١٠ص ٢٢٩، أنساب الأشراف ص ٢١٨، تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٠، البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨١، تاريخ ابن خلدون ق٢ ج ٢ص ١٦٨، وقعة صفين- ابن مزاحم المنقري، الإمامة والسياسة ج١ ص١١٣، سبل الهدى والرشاد ج ١٠ص ١٤، النصائح الكافية ص ٢٠٥، حياة الإمام الحسين عليه السلام ج ٢ ص ٦٥، الصحيح من السيرة ج ٢ص ١٥٥.

فأرسل معاوية الجزار بسر بن أرطأة في قوة مسلحة لإرباك الوضع الأمني في اليمن والحجاز، فعاث الأخير في الأرض فساداً وقتل ولدين لعبيد الله بن العباس وقتل من أهلها من قتل ثم توجه إلى مكة والمدينة والطائف ولقي أبا موسى الأشعري ولم يتعرض له بسوء لانحرافه عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفي المدينة نصب أبا هريرة إماماً للجماعة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان إذا لقي شخصاً يوالي أمير المؤمنين عليه السلام قتله مهما كان شأنه.

بلغ أمير المؤمنين عليه السلام جرائم قوات معاوية في جزيرة العرب واليمن فأرسل قوة عسكرية من الكوفة لصدها فلما علم بها بسر عاد إلى الشام وفر أبو هريرة.

واندلعت فتنة للخوارج فأرسل عليه السلام قوة لإخمادها، وأرسل معاوية قوة فأغارت على الأنبار والبصرة وغيرها من المناطق التي يمكن لعصاباته أن تصل إليها، ومما زاد في إرباك الأوضاع ترك عبد الله بن عباس عمله واصطحابه لأموال بيت مال البصرة، فكان لفعله أثر سلبي على الناس بالإضافة إلى حرمان بيت مال أمير المؤمنين عليه السلام من المال الذي كان بحاجة إليه بسبب ظروف الحرب التي كانت بينه وبين معاوية.

وكل ذلك لم يجعل أمير المؤمنين عليه السلام يغفل عن العدو الأساسي لذا كان عليه السلام يدعو الناس للإسراع بالتجهز للتوجه إلى الشام.

وبدلاً من استجابة أهل الكوفة لدعوة أمير المؤمنين عليه السلام لما فيه ضمان المصلحة العامة للدولة الإسلامية كانوا يقابلونه بالتكاسل والتواني حتى أظهر الشكوى منهم، وبعد تأكيد وإلحاح شديد منه استجاب بعض أهل الكوفة وتوجهوا إلى النخيلة وكان عليه السلام أرسل بعض ولده إليها لإعداد القوات للتحرك نحو الشام لأن انتهاء تلك الفتن مرهون بالقضاء على معاوية.

وشاء القدر أن يغتال المارقون أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة فجر التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة لتنطوي تلك الصفحة المشرقة من الإخلاص والعبادة والزهد والتقى، من دون أن يتمكن عليه السلام من تحقيق ما كان يصبو إليه من قطع دابر الفساد، فغادر عليه السلام الدنيا يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان.

الأوضاع السياسية في خلافة الإمام الحسن عليه السلام

بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام بايع أهل الكوفة الإمام الحسن عليه السلام.وفي الكوفة كانت هناك ثلاث قوى سياسية مهمة ومؤثرة:

أ ـ الشيعة وعلى رأسهم قبيلتي ربيعة وهمدان اللتان كان لهما بلاءً حسناً إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام في جميع المعارك التي خاضها.

ب ـ الخوارج، وهم وإن كانوا لا يؤمنون بإمامة أهل البيت عليهم السلام ويُعدّون من اعدائهم ولكنهم يَعدّون معاوية عدواً مشتركاً.

ج ـ الزعامات القبلية، ذات المطامع الشخصية والنظرة المحدودة للواقع السياسي.

وعلى هذا التقسيم للواقع السياسي في الكوفة فالراغبين في قتال معاوية ليس إلاّ الشيعة والخوارج، والشيعة لا يزيدون على سبع أهل الكوفة أما الخوارج فعددهم ليس بذي بال.

والمشكلة الأهم في حركة الإمام الحسن عليه السلام السياسية والعسكرية قوة احتمال حصول مؤامرة يتفق فيها زعماء القبائل الكوفية مع معاوية في سبيل ضمان مصالحهم الخاصة وتجنب الحرب، وقد تحقق هذا الاحتمال إذ بعث معاوية إلى الزعامات القبلية في الكوفة يدعوهم إلى قتل الإمام الحسن عليه السلام مقابل وعود

بهبات مغرية، وبلغ الإمام الحسن عليه السلام محاولة معاوية تجاه الزعامات الكوفية، ولم يكن عليه السلام قادراً على اتخاذ موقف حدي تجاه تلك الزعامات لأنه سيؤدي إلى وقوع حرب أهلية داخل الكوفة يذهب الشيعة ضحيتها لذا اكتفى صلوات الله عليه بفضح مخطط معاوية وتحذير رؤساء القبائل من مغبة ركضهم وراء معاوية، ولم يكتف معاوية بذلك بل أرسل إلى كل من الكوفة والبصرة واحد من جواسيسه المعتمدين فأمر الإمام الحسن عليه السلام بإلقاء القبض عليهما وإعدامهما في الملأ العام، وكان لهذا العمل دوره المهم في تحجيم حركة النفاق والجاسوسية لمعاوية داخل هاتين الولايتين المهمتين[1].

كان معاوية مصراً على المضي في خطته في السيطرة على الكوفة ليتمكن بذلك من بسط سلطته على كل بقاع البلاد الإسلامية خاصة بعد أن خضعت له غرب البلاد الإسلامية بعد سقوط مصر، فكان يبعث بالسرايا للتخريب والقتل وسفك الدماء البريئة.

وفي الكوفة كانت الرغبة في الركون إلى الدعة والسلامة هَم معظم الزعامات القبلية شريطة ضمان مصالحهم ومواقعهم السياسية، وكانت سياسة معاوية من شأنها أن توفر لتلك الزعامات رغباتها إذ سيرته مبنية على التمييز العنصري والطبقي، وفي سبيل تحقيق الزعماء لهذه الأمنيات كتبوا إلى معاوية يبدون استعدادهم لتسليم الإمام

---

١ . علل الشرائع ج١ ص٢٢٠، باب ١٦٠ السبب الداعي للحسن صلوات الله عليه إلى موادعة معاوية، مقاتل الطالبيين - أبو الفرج الاصفهاني ص٤١، الإرشاد ج٢ ص١١، بحار الأنوار ج٤٤ ص٢٧، ج٤٤ ص٣٢ (كيفية مصالحة الحسن بن على صلوات الله عليهما معاوية عليه اللعنة وما جرى بينهما قبل ذلك)، مستدرك سفينة البحار ج٥ ص٢٢٤، أحاديث أم المؤمنين عائشة ج١ ص٣٢٠، شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج١٦ ص٢٥، تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢١٢، تنزيه الأنبياء- الشريف المرتضى ص٢٢١، كشف الغمة ج٢ ص١٦٢، صلح الإمام الحسن عليه السلام - آل ياسين، الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام . العاملي، تاريخ دمشق ج١ ص٢٦١ وما بعدها.

الحسن عليه السلام إن وقعت الحرب، وكانت هذه المراسلات بعد أن أصدر الإمام الحسن عليه السلام أمره للقوات الكوفية بالتجمع في النخيلة للتصدي لقوات معاوية التي أقبل بها نحو العراق.

علم الإمام الحسن عليه السلام بالمؤامرة التي من شأنها إن حدثت أن تؤدي إلى مسألتين غاية في الأهمية:

الأولى: القضاء على أهل البيت عليهم السلام لأنهم أمّا أن يقتلوا أو يُؤسروا وإن أسروا أمّا ان يقوم معاوية بقتلهم أو بإطلاق سراحهم مناً عليهم وكل هذه الإحتمالات من الناحية السياسية تضر بهم.

والثانية: إنّ هذه المحاولة من الزعامات الكوفية تعني أنهم سيكونون مع القوات الشامية يداً واحدة على الشيعة، وهذا يعني القضاء التام على الشيعة واستأصالهم بالإضافة إلى ما سيؤديه وقوع الحرب الأهلية بين الكوفيين مما من شأنه أن يدعم سلطان بني أمية على الأمد البعيد بسبب ضعف المعسكر الكوفي نتيجة الصراع الداخلي.

وفي هذه الظروف الحرجة لم يكن أمام الإمام الحسن عليه السلام سوى الخروج من المأزق الذي يعيشه مع شيعته بالنحو الذي يضمن المصالح العليا للإسلام والمؤمنين.

ولكي يحقق الإمام الحسن عليه السلام الحفاظ على المصالح العليا كان عليه أن يُظهر استعداده التام للتصدي لمعاوية لاجباره على الخضوع لشروطه لأن معاوية طالب دنيا وهو راغب في الوصول إلى غاياته بأقل خسارة ممكنة لأن جل اعتماد معاوية على المعسكر الشامي وهو يريد الحفاظ على قدرته القتالية وعدده وعدته لإدارة البلاد.

أرسل الإمام الحسن عليه السلام كتائباً من أهل الكوفة لتكون مقدمة لجيشه الذي يسخوض الحرب ضد معاوية، وكان كلما أرسل قوة عسكرية كاتب معاوية قائدها وأغراه بالمال وبين له مواقف زعماء الكوفة ومراسلاتهم الخفية، فيترك ذلك

القائد معسكر الإمام الحسن عليه السلام ليلتحق بمعاوية، وكان آخر من ارتكب تلك الخيانة الفضيعة عبيد الله بن عباس الذي من المفروض أن تكون أمامه جملة من الأمور المانعة عن ارتكاب مثل هذه الخيانة العظمى فهو ابن عم أمير المؤمنين عليه السلام وسبق لبسر بن أرطاة أن قتل له ولدين في اليمن، إلاّ أنّ هذه العوامل لم تمنع من ارتكابه الخيانة العظمى لله ولدينه ولإمامه.

كانت مجريات الأحداث تكشف أنّ نتائج الحرب لو وقعت لن تكون لصالح الإمام الحسن عليه السلام وأحسّ الخوارج أن لا أمل لهم في خوض الحرب ضد معاوية من معسكر الإمام الحسن عليه السلام فقرروا اغتيال الإمام عليه السلام.

تعرض الإمام الحسن عليه السلام لمحاولتي اغتيال، الأولى أثناء أدائه للصلاة إذ رمي بسهم لم يؤثر فيه لأنه ومنذ بلغه مكاتبة زعماء الكوفة معاوية كان محتاطاً لنفسه فكان متدرعاً دائماً خاصة وقت الصلاة التي يسهل فيها عملية الاغتيال بسبب الانشغال بالعبادة والمناجاة، والثانية في مظلم ساباط في المدائن عندما طعنه أحد الخوارج بمغول في فخذه وفي رواية في خاصرته وجرح جرحاً بليغاً اضطر معه للبقاء عدة أيام تحت الرعاية الطبية حتى تماثل للشفاء.

بعد الأحداث المريرة التي عاشها معسكر الإمام الحسن عليه السلام كاتبه معاوية لإجراء الصلح وتجنب الحرب بين الفريقين، فوافق الإمام الحسن عليه السلام على ذلك بشروط لم يحفظ التاريخ منها إلاّ القليل:

(واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والعدول عن القنوت عليه في الصلاة، وأن يؤمن شيعته رضي الله عنهم، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق {منهم} حقه، فأجابه معاوية إلى ذلك كله)[1].

---

١ . عوالم الإمام الحسن عليه السلام ص١٥٨، ارشاد المفيد قدس سره، ص١٧٢.

نتيجة البحث

مما تقدم يتضح أنّ دور الشيعة في الحياة الإسلامية يمكن أن نشير إليه بالنقاط الآتية:

١ ـ إنّ الشيعة يمثلون خُلّص المسلمين الأوائل كأبي ذر والمقداد وعمار وسلمان الفارسي وأغلب الأنصار.

٢ ـ إنّ الأمة وخاصة بعد فتح مكة وتوسع رقعة الدولة النبوية لتمتد من البحر العربي والمحيط الهندي جنوباً والبحر الاحمر غرباً والخليج شرقاً والعراق والشام من جهة الشمال الشرقي والغربي أصبحت ذات اتجاهات سياسية متعددة:

أ ـ بعض اليمنيين وبعض أبناء جنوب الجزيرة يطمحون للاستقلال وكان على رأسهم مسيلمة وسجاح وطليحة.

ب ـ قريش وبني أمية ومن كان ضمن تحالفهم السياسي كأعراب أسلم كانوا يسعون إلى السيطرة على الحكم مع الاستفادة من مكاسب الدولة النبوية فيحافظون على امتداد الجغرافية السياسية للدولة النبوية مع عزل أمير المؤمنين عليه السلام وبني هاشم عن السلطة.

ج ـ أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته كانوا يريدون السير على النهج الذي حدّده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حصر الخلافة في أهل بيته في حديث الثقلين وبيعة الغدير وغيرها من المناسبات التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصرّح فيها بأن الخلافة من بعده لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبنيه من بعده.

٣ ـ حاول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أخريات آيامه أن يمنع الانقلاب على أمير المؤمنين عليه السلام فأمر بتجهيز جيش أسامة ولكن الطامعين عصوه وعسكر الجيش في الجرف خارج المدينة ليعود ويحتل المدينة ويضرب طوقاً من الحصار

على المسجد النبوي ومنزل أمير المؤمنين عليه السلام لتطويق تحركه السياسي قبل البيعة لمرشح قريش، وبعد أن عصوه طلب الدواة والكتف ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً فقال قائلهم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهجر حسبنا كتاب الله، وهكذا كان لرجالات قريش دور سلبي سيء في حرف المسار السياسي للدولة النبوية لتحقيق الرغبات الدنيوية الزائلة.

٤ ـ سعى القرشيون مدّة تمكنهم من تحديد المسار السياسي عزل أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته والأنصار عن القرار السياسي، وقد تمكن القرشيون من تحجيم دور الأنصار السياسي إلى أبعد المديات فلم يحدث التاريخ عن دور مهم للأنصار في تاريخ الثورات والحركات السياسية في بلاد المسلمين اللهم الاَ في ثورة المدينة ضد يزيد والتي عصفت بالموقع السياسي للأنصار وإلى الأبد، نعم لابد من التأكيد أنّ الانصار كان لهم دور مهم في أيام أمير المؤمنين عليه السلام اذ كان أغلب الانصار معه وفي جيشه.

وأما بنو هاشم فإنّ الطالبيين منهم كانوا يشكلون أهم قوى المعارضة السياسية ضد السلطات الحاكمة أيام الامويين والعباسيين ويشهد لذلك تاريخهم المضمخ بدماء الشهداء الزكية وأما بنو العباس فانهم اعتزلوا العمل السياسي العلني ولم يشتركوا في ثورات الطالبيين وكانوا يسعون لبناء وجودهم السياسي المستقل في أخريات أيام بني أمية وكان موضع حركتهم السياسية في خراسان بعيداً عن عاصمة الدولة الأموية وتمكنوا بعد ذلك من القضاء على الدولة الاموية ولكنهم اتبعوا سياسية قريش والسياسية الأموية في التضييق على الطالبيين والقضاء عليهم.

٥ ـ عمل الشيعة في المدّة التي كانوا يمثلون فيها أهم قوى المعارضة السياسية والفكرية إلى التأكيد على حق أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام

بالخلافة وانحصار هذا الحق بهم، الأمر الذي كانوا يتعرضون بسببه إلى مختلف ألوان التحجيم والمضايقات حتى نفي أبو ذر إلى الشام ثم إلى الربذة وديس في بطن عمار وقطع عطاء أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة كاملة وتوج جهاد الشيعة بإختيار الأمة أمير المؤمنين عليه السلام خليفة لهم بعد سنوات طويلة من الظلم والتحجيم.

٦ ـ بعد أن تولى أمير المؤمنين عليه السلام الحكم اصطف القرشيون مع بني أمية ضد دولته المباركة وجندوا كل طاقاتهم للقضاء على دولته الكريمة وكاد أمير المؤمنين عليه السلام أن يبسط نفوذه في كل أرجاء الدولة الاسلامية بعد أن انهى تمرد الناكثين والمارقين وكاد أن ينهي تمرد القاسطين في الشام إلاّ أنّ عصيان الزعامات القبلية وعدم التزامهم بأوامر أمير المؤمنين عليه السلام ادّى إلى تفويت أعظم الفرص على أهل الكوفة والتي ادّت إلى حرمان الأمة وإلى اليوم من بركات حكم أمير المؤمنين عليه السلام ومن فرص العدل والعلم والتطور.



المحتويات

الفصل الأول:

الأوضاع السياسية للدولة الإسلامية بعد غزوة الأحزاب

الفصل الثاني:

أبو بكر في مواجهة التحديات

الفصل الثالث:

الشيعة في عهد عمر بن الخطاب

الفصل الرابع:

الأوضاع السياسية أيام عثمان بن عفان

الفصل الخامس: الدولة العلوية

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران - الزهراء والحوراء عليهما السلام - الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي - الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	إبك فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزئين	السيد عبدالله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل	السيد نبيل الحسني

١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج١	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٢	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج٢	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج٣	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمدجواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزئين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو

٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمدعلي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبدالكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمدعلي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاء الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي